

أساليب التّجنيد عند الجماعات الجهاديّة الإرهابيّة



ماهر فرغلي
باحث مصريّ

صلاح الدّين حسن
باحث مصريّ



مقدمة:

إنّ مناهج التجنيد وأساليبه تختلف بين جماعة وأخرى، كما تختلف باختلاف المراحل الزمانية والمكانية؛ لذا سيتطرق هذا البحث إلى مراحل التجنيد لدى التنظيمات الجهادية المسلحة، ويركّز، بشكل خاص، على التنظيمات التي نشأت منذ فترة التسعينيات وحتى الثورات العربية؛ بداية من مرحلة بحث المجندين (بكسر النون) عن العناصر المؤهلة للتجنيد داخل صفوف التنظيم وخلاياه السرية العنقودية، والشروط العامة التي ينبغي توافرها في العنصر المستهدف، والمختلفة ما بين جماعة وأخرى، حتّى يؤهّل لبدء مرحلة أخرى من مراحل العملية؛ هي المرحلة التربوية والتكليفية له.

الهدف من هذه الدراسة: معرفة كيفية تجنيد العناصر الجهادية، والأساليب المختلفة التي يجب أن يستخدمونها، حتّى يصلوا إلى صبغة تدينية محدّدة للعنصر المستهدف، ويصلوا إلى مرحلة التوظيف لهذا العنصر في المكان المناسب بناءً على المناهج والمعايير التنظيمية.

مدخل الدراسة: تعريف المنهج التجنيدى الجهادي، وعناصره، وكيفية الوصول للمستهدف بالتجنيد للانصهار في كيان سلفي جهادي، ودور الجماعة والتنظيم في استغلال الظروف السيكولوجية والسياسية المحيطة بالمستهدف، لاستدراجه إلى الكيان الجديد، من هنا؛ سننوّع قليلاً في تجارب الجماعات الجهادية التجنيدية؛ حيث إنّ هناك مشتركات رئيسة بين تلك التنظيمات، تخلق بينها نوعاً من التشابه الرافدي، لتوليد وخلق عناصر لديها استعداد للموت، وانحياز للعمل الجماعي، وتولد، أحياناً، التطرف والحماسة والأمل المتقد والكرهية، وعدم التسامح، وقادرة على تفجير طاقات قوية من الحراك في بعض مناحي الحياة، من أجل محاولة السيطرة على العالم.

بما أنّ هذه التنظيمات وصلت إلى أعلى مستوياتها في هذه العملية عقب ثورات الربيع العربي، واستطاعت برمجة عقول انتحاريين، والوصول إلى أعلى مستويات المدّ من التجنيد للانتحاريين، فهذه الورقات قد تصلح للولوج إلى فلسفة التجنيد ومنهجه لدى الجماعات الجهادية المسلحة، والخلايا والتنظيمات الأخرى التي تشكّلت في منتصف السبعينيات، أنّ تلك الجماعات استقت أساليبها في التجنيد من خلال المخزون الخبراتي لسابقها.

يعتمد البحث المنهج الوصفي الارتباطي، وذلك لاعتماده على وصف آليات التجنيد وأساليبه لدى الجماعات الإسلامية المسلحة التي برزت بقوة عقب ثورات الربيع العربي، كما يقارن بين فلسفتها ومنهج التجنيد لديها مع تلك الجماعات والخلايا والتنظيمات الأخرى التي تشكّلت في مطلع ومنتصف فترة الثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم، باعتبار أنّ تلك الجماعات استقت أساليبها في التجنيد من خلال المخزون الخبراتي لسابقها.

أمّا إجراءات البحث؛ فإنّه سيسند إلى مصادر معتمدة، وهي اعترافات هؤلاء الجهاديين الإسلاميين أثناء التحقيق معهم، وبعد المقابلات مع عناصر انضوت تحت هذه التنظيمات، ومجموعة من المستندات والأوراق

الخاصة ببعض الخلايا التكفيرية المسلحة، لنصل- في النهاية- إلى النتيجة وخاتمة البحث؛ وهي معرفة التقاطعات ما بين الجماعات السلفية الجهادية المسلحة في عمليات ضم العناصر، ومناهج التجنيد المختلفة لها.

إنّ الهدف الأساسي من الدراسة: هو قراءة أساليب التجنيد بشكل يتجاوز الظاهر نحو المبطّن، دون الاستلاب من الموضوعية والحيادية، لكننا أمام واقع اجتماعي لتلك التنظيمات متحوّل جرّاء تأثيرات الظروف السياسيّة والأمنيّة، التي حولتهم إلى مطاردين أو مسجونين، ما جعل بعض التنظيمات مفكّكة، أو خلق جماعات أخرى ليس لها مرتكزات منشورة بشكل مباشر عن عمليات التجنيد وأساليبها، إلّا أنّنا باستقراء ما ورد في أساليب التجنيد للجماعات والتنظيمات الحليفة والشريكة لها، إضافةً إلى بعض اللقاءات مع بعض العناصر، أو قراءة أجوبة بعضهم أثناء التحقيق عقب القبض عليهم، فضلاً عن بعض المنشورات الخاصّة، استطعنا تجاوز هذه الإشكالية، حتّى وصلنا إلى أنّ جماعات السلفية الجهادية، اختلفت في عملية التجنيد عن سابقتها من ذات الجماعات ما قبل الثورات، فبينما تلك الجماعات القديمة استخدمت وسائل تقليدية، مثل؛ المساجد، والمعسكرات الإسلامية، وتوزيع الكتب الدينية، والأشرطة التسجيلية، استخدمت الحديثة منها وسائل جديدة، أكثر سرية، كما أنّ بعضها اعتمد على التكنولوجيا؛ لذا فقد أنتجت تلك العملية من التجنيد، جيلاً جديداً مختلفاً في الأيديولوجيات والإستراتيجيات، وهذا ما تهدف الدراسة إلى الوصول إليه.

صعود قوى الإسلام السياسي:

ظهرت في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن المنصرم عدد من التجارب، منها: تجربة الجماعة الإسلامية التي خاضت حرباً مسلحة مع النظام المصري، كما ظهرت تجارب جماعة الجهاد المصرية، وخلايا متنوّعة، منها ما ترجع في أصولها إلى جماعة التكفير، أو إلى السلفية الجهادية، وأغلب تلك الجماعات، وأخرى شبيهة، انبثقت عن جماعة الإخوان، واستفادت من طريقتها ودستورها في التجنيد، فاعتمدت على ما يسمّى (علنية الدعوة وسرية التنظيم)، أمّا المجموعات الأخرى والخلايا الصلبة، مثل: خلية الزيتون، أو خلية التوحيد والجهاد، وكلّها ظهر في التسعينيات، فقد كان أغلبها يتّسم بالسرية الشديدة؛ حيث اعتمدت على سرية الدعوة، وسرية التنظيم، وتشكّل منهج التجنيد لها على الاستفادة من السلفيات المنتشرة بمصر، خاصّة سلفية القاهرة، التي أُطلق عليها (السلفية الحركية)؛ التي كانت لها طريقة خاصّة تتدرج من: الوصول لمرحلة القابلية إلى مرحلة الاتّصال المباشر، ثمّ التّكليف، وفي المرحلة الأولى تدرّس شخصيّة الفرد، ومدى قابليته للانخراط في النّشاط القتالي؛ إمّا لتسلفه الجهادي، أو لوجوده في بيئات اجتماعية يعيش فيها حالة تفكك الهوية، أو العزلة النفسية لأسباب سياسية وثقافية، ثمّ مرحلة الاتّصال وتلقّي الرّسالة الثقافية الجهادية، ويحصل، هنا، التغيّر في الشّخص وانتمائه، وتبدأ حركة التحوّل، بحيث يعاد تشكيل شخصيّة الفرد في حالتها النهائيّة في الميدان.

الجهاديون	الإخوان	
سريّة عن طريق الدّعوة الفرديّة، واستقطاب إلكترونيّ.	علنيّة، مثل: المساجد واللقاءات الدينيّة، وسريّة، مثل: الدّعوة الفرديّة، والاستقطاب الفئويّ.	الوسائل
التّحريّات والتّعارف، ثمّ غسل الأدمغة، وبعدها النّقل والمضافات.	التّعريف، والتّعريف، وغرس القيم الإيمانيّة، وقابلية العمل الجماعيّ، ثمّ التّوظيف.	المراحل
المخطّط الافتراضيّ على الإنترنت، خلية التّجنيد.	المساجد والزّوايا واللقاءات والمدارس.	نقاط الارتكاز
فتح باب المشاركة حول الهدف والاسم المشترك.	التّحوّل إلى سريّة الدّعوة، وسريّة التّنظيم.	المنهج الجديد

بناءً على ما سبق؛ فقد ظهرت في التجربة المصرية تنظيمات كثيرة، متنوّعة في كلّ المستويات، انقسمت إلى نوعين: الأوّل؛ انبثق من الإخوان، وطبق تجاربهم التّجنيدية نفسها، التي كانت تعتمد على الدّعوة الفرديّة، أو تعتمد على الأخرى العلنيّة التي، غالباً، ما يُطلق عليها دعوة اللّقاءات والمساجد والأيام الإسلاميّة⁽¹⁾، والنّوع الثاني: هو تجنيد العضو المنتمي للتّنظيم الجهاديّ بشكلٍ مباشر، والمنتمي، في ذات الوقت، وبشكلٍ أوسع إلى السلفيّة الجهاديّة بشكلٍ عامّ.

عقب ثورات الربيع العربيّ؛ ظهرت تجارب جهاديّة جديدة، وعقب الثورة السوريّة، ودخول تنظيم الدولة الإسلاميّة إلى الموصل في العراق؛ تعمّقت ما تسمّى سياسة إمساك الأرض، وإقامة إمارات إسلاميّة، وبدت تجارب التّجنيد، من هنا، متنوّعة بشكلٍ جديد، فبعد أن كان هدف التّجنيد ضمّ عناصر لتنظيمات هرميّة، أصبح الهدف منه أوسع، ما بين التّجنيد للهجرة إلى دولة الخلافة، وإمارات إسلاميّة أخرى، أو التّجنيد من أجل الانخراط في خلية متّصلة بالتّنظيم، أو مجموعة منفردة، أو تحويل العنصر المستهدف إلى ذئب متوحّد، فاختلفت، من هنا، أساليب التّجنيد عن نظيرتها السابقة، وهو ما ستعرّض له الدّراسة بالتّفصيل.

(1) منهج التّجنيد الجهاديّ:

بالبحث عن المسار الإخوانيّ وجماعته الشّريكة له في ذات المنهج التّجنيدّي، سنلاحظ أنّه كان وليد ظروف

1- راجع العمليّ أبي سعد، دراسة حول الجهريّة والسريّة، موقع تنظيم القاعدة، التوحيد والجهاد.
http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_37709.html

سياسية محيطة، خاصة فترة السبعينيات والثمانينيات، التي حصلت فيها جماعة الإخوان على فرصة مثالية للتحرك في هوامش المجتمع، ثم في القلب منه، وأما المسار الثاني؛ فقد ظهر بسبب ظروف التضييق الأمني، والحاجة إلى الحركة بشكل أفضل، عن طريق تنظيمات سرية في الدعوة، من حيث البنية والخطاب، وسرية الحركة ومرورتها، التي لعبت فيها، أحياناً، أجنات ممولين وداعمين، سياسياً وإعلامياً، دوراً كبيراً في أساليب التجنيد؛ بل وفي المشروع الجهادي بالكامل^(٢).

جماعة الإخوان، في البداية، كانت تصنع محاضن، تعدّ الوسيلة الناجعة لتجنيد العنصر، وتواصله مع الجماعة، وتعميق إخوته ومحبته لقياداتها، وتوحيد فكره وتصوّراته عن القضايا المختلفة، ومنها:

- أ- المسجد: الذي يعدّ محضناً تربوياً عاماً لعمل الجماعة، لذلك؛ تعطي له أهمية خاصة تعقد فيه جلسات وحلقات لتعلم تلاوة القرآن وتنقيف الناس في أمور دينهم.
- ب- المحاضن الخاصة: هي مجال التركيز لدى التنظيم، مثل: الأسرة، وهي من أهمّ مكونات نظام الجماعة الإداري، التنظيمي والتعليمي، وأركانها: التعارف، والتفاهم، والتكافل، والثقة.
- ج- الرحلة: هي محضن لتربية الأفراد تربية جماعية، وفيها يتمتع المشاركون بحرية الحركة والترييض والتدريب، وجذب الأتباع الجدد.
- د- الكتائب: هي معهد التربية الروحية، تجتمع فيه عدد من الأسر في مكان خاصّ لعدة أيام وفق منهج خاصّ.
- هـ- الفرق الرياضية والكشافية: هي نظام أشبه بمنظمة شبه عسكرية للجماعة^(٣).
- و- المعسكرات: ونظام المعسكر امتداد لنظامي الكشافة والجوالة، وهو محضن يتخصّص لترسيخ معاني الجهاد في صورة عملية، وإعداد الأفراد وتأهيلهم للعمل العسكري.
- ز- المؤتمرات والندوات: وهي محضن يجتمع فيه عدد كبير من المشتركين، ويشارك فيه قيادات من الجماعة، ويستغلونه للدعوة والتجنيد.
- ح- المؤسسات الخاصة: مثل: المدارس والحضانات، والمؤسسات الاجتماعية والتربوية.
- ط- الكتل الطلابية والنقابية: في الجامعات والمدارس، وللمحامين والأطباء والمرضى والصحفيين والمحاسبين والسائقين... إلخ^(٤).

2- الشنقيطي، محمد مختار، معايير النجاح التنظيمي وثناياته الكبرى.

http://shinqiti.blogspot.com.eg/2009/10/blog-post_2444.html

3- وسائل التربية عند الإخوان، علي، عبدالحليم، محمود، ص 235.

4 <https://www.facebook.com/MP.Mohammed.Shehab/posts/317340038308078>

في النقاط فوق الحروف؛ إن الدعوة كانت تتم في شعب الجماعة عبر اللقاءات، وبعدها يتم الاتصال المباشر مع المستهدف والنقاش معه، ثم تتبع كل الوسائل الممكنة ليكون عضواً في الإخوان^(٥).

في نفس السياق؛ كان الجهاديون يقومون بعمليات تجنيد مماثلة داخل جمعية أنصار السنة، أو من خلال جولات جماعة التبليغ والدعوة، وفي مساجد السلفيين والإخوان، على سبيل المثال؛ فإن أيمن الظواهري كان دائم الصلاة بمسجد "قولة" بالجيزة، وتشكل تنظيم الجهاد في هذا المسجد في البداية، وعن طريق الدعوة الفردية داخل حرم الجامعات^(٦).

استغل الإخوان الجامعة للتغلغل والتجنيد والانتشار، وسار على نهجهم الجهاديون، ومنذ عهد السادات، حتى انتهاء عصر حسني مبارك، كانوا يحرصون على الفوز بمقاعد اتحاد الطلاب، لاستغلال أنشطته في التجنيد والتواصل المباشر مع الطلبة، وقد تكونت الحركات الإسلامية في حرم الجامعات^(٧).

يقول مختار نوح: عن طريق الدعوة في أحضان جمعية أنصار السنة المحمدية بالإسكندرية، وفي أوساط الشباب الثانوي، وحرم الجامعة، تشكل تنظيم الفنية العسكرية^(٨).

(٢) الدعوة الفردية عند الإخوان والجهاديين:

تنقسم الدعوة في عرف الإخوان والجهاديين معاً إلى: الدعوة الجماعية العلنية، والدعوة الفردية السرية المباشرة، ووفق ما ورد في كتاب مصطفى مشهور (الدعوة الفردية)، فإن مراحلها هي:

(الأولى: إيجاد صلة بمن تريد دعوته وإشعاره عملياً باهتمامك به، والسؤال عنه إذا غاب، وغير ذلك دون الحديث في أي أمر من أمور الدعوة، حتى يفتح قلبه ويتهيأ لاستيعاب ما يقال له ليستفيد منه.

الثانية: إيقاظ الإيمان المخدّر في نفس المدعو، ولا يكون الحديث حول قضية الإيمان مباشراً، لكن الأفضل أن يأتي طبيعياً ودون قصد، بانتهاز فرصة رؤية طائر أو نبتة أو حشرة أو أي مخلوق من خلق الله، ويتحدث معه عن قدرة الله وإبداعه وعظمته في هذا الخلق، وهكذا يمثل هذا الحوار وتكراره والتفكير في خلق الله سيثمر - بإذن الله - تنزيهاً وتعظيماً وتقديساً لله سبحانه.

الثالثة: معاونته في تدارك حاله بالتعرف إلى طاعة الله والعبادات المفروضة، وممارستها، والانتظام فيها، والابتعاد عن المعاصي، والتحلّي بالأخلاق الإسلامية، ويفضّل تزويده بما يقرؤه من الكتب الميسرة في العقيدة والعبادة والأخلاق، كما يُدعى إلى حضور بعض الدروس والمواعظ.

5- أحمد، عادل، كمال، النقاط فوق الحروف، الزهراء للإعلام، ص 24.

6- فرغلي ماهر، أمراء الدم، دلنا للنشر والتوزيع، ص 52.

7- أن ويفر ماري، رحلة في عالم الجماعات المتشددة، المركز القومي للترجمة، ص 115.

8- نوح مختار، موسوعة العنف، سما للنشر، ص 156.

الرابعة: توضيح المعنى الشمولي للعبادة، وعدم قصره على الصلاة والصوم والزكاة والحج، لكن يشمل كل نواحي الحياة، مثل: الدعوة والجهاد.

الخامسة: يوضح فيها للمدعو أن الإسلام لا يكتفي منا بأن نكون مسلمين في ذاتنا؛ كأفراد يؤدون العبادات، ويتحلون بالأخلاق الحسنة، ولا يؤذون أحداً، لا شيء غير ذلك؛ بل إن إسلامنا دين جماعي.

السادسة: الإجابة عن السؤال الذي يفرض نفسه: مع أية جماعة يعمل؟^(٩).

أما في العقيدة السلفية الجهادية؛ فقد عرّف أبو عمر القاعدي، في دورته للتجنيد، الدعوة الفردية قائلاً: (اتصال الداعية بالمدعو اتصالاً شخصياً مباشراً، بهدف إحداث نقله في مقدار تمسكه والتزامه بالإسلام، بحيث تتحقق فيه سمات المسلم الصالح، ويتوفر لديه الاستعداد للقيام بواجب الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، من خلال الانتظام في صفوف الدعاة المجاهدين)^(١٠).

نسيم بهلول، يقول: إن الجماعات وضعت خطة لتسليح الأمة، والتحرك على العدو من خلال أمة مسلحة تعمل على رقعة جغرافية مهولة من خلال: الدعوة لتجيش الأمة من خلال برنامج عملياتي ناجح لإكسابها الثقة في القدرة على تحقيق النصر، وأن هذه الدعوة لتجيش الأمة لا بد من أن يسبقها تشكيل خلايا مسلحة تمثل الطليعة المقاتلة، وتوسيع رقعة الصراع جغرافياً، من أجل تشتيت قوة العدو^(١١).

(٣) خطة العمل التجنيدية:

وضعت الجماعات خطة للعمل في المجتمعات التي ظهرت فيها؛ تبدأ بالتعرف إلى أفراد من المجتمع من خلال الدعوة والعلاقات الخاصة، وتجنيد الأتباع شيئاً فشيئاً، مستخدمة في ذلك جميع الأساليب الممكنة، منها: تقديم الخدمات العامة للمجتمعات، حين تجد هذه الجماعات لها موطئ قدم في أية منطقة، أو حتى دائرة ضيقة، عبر مجموعة من الفاعلين يشتركون في جملة من المقومات المظهرية والسلوكية، ويجمعهم هدف مشترك واحد، واعتمدت على ثلاث مرتكزات رئيسة في عمليات التجنيد:

سرية الدعوة والتنظيم ارتكازات وعناصر تزكية خلايا عنقودية

يدل ما سبق على البدء في إنشاء ما تسمى سرايا الدعوة والتجنيد؛ ففي مصر - على سبيل المثال - بدأ وجود سرية الدعوة في فترة التسعينيات، ومنها: جماعة "جند الله" التي مارست نشاطها في محافظات الإسكندرية والغربية والبحيرة على يد المهندس عزت النجار، وكذلك تنظيم المطرية، وتنظيم بورسعيد، وتنظيم الجيزة الذي أسسه محمد عبدالدايم، وتنظيم الجيش الإسلامي الذي تزعمه أحمد نبوي، وتنظيم الأزهر الذي تزعمه طارق أحمد

9- مشهور، مصطفى، الدعوة الفردية، ص 34، دار الوفاء للنشر.

10- مجموعة من الوثائق لدورة تنظيم القاعدة في أحد معسكرات أفغانستان حول التجنيد، غير منشورة.

11- نسيم بهلول، العقيدة السلفية القتالية الجهادية من الجهاد السلفي الإقليمي إلى الألفية السلفية الجهادية، ابن النديم للنشر، ص 274.

السيد، ومجموعة الشوبك بالجيزة، وتنظيم ذهب وشم الشيخ.

تتخرط "سرايا التجنيد" متخفية في أوساط الناس؛ لنشر الفكر الجهادي وضم المتعاطفين مع الجهاد، ويعدّ أول من نظر إليها (مصطفى ست مريم)؛ المكنى بأبو مصعب السوري^(١٢).

وفق أبو مصعب السوري؛ يبدأ تكوين الجماعات الجهادية المسلحة عبر فتح الإمكانية للمشاركة أمام المتعاطفين مع الجهاد، وتحويل نبضاتهم العاطفية إلى ظاهرة يتم توجيهها واستثمارها، ثم إنشاء خلايا متنوعة لا ترتبط تنظيمياً، وتجمع ما بين المركزية على صعيد الانتماء والشعارات والرّموز والأفكار، وبين عدم الارتباط المركزي بحيث لا يمكن إجهاضها أمنياً.

يتم ربط كل أطراف الخلايا والسرايا والأفراد الذين تتم دعوتهم بثلاثة روابط، هي: الاسم المشترك والبيعة، والعقيدة المشتركة، والهدف المشترك، وذلك لتحقيق المردود السياسي والهدف، ثم إرشاد المدعوين إلى أن على كل مجموعة أن تعدّ نفسها بنفسها، على ما يلزم من العمل العسكري؛ ابتداءً بأساليب المقاومة الشعبية، وانتهاءً بالعمليات الإستراتيجية المعقدة، ومروراً بكل أشكال عمليات العصابات ومستوياتها، سواء كانت في المدن أو الأرياف، على هذا؛ فإن كل سرية تتكوّن من فرد أو أكثر، وتكون وحدة مستقلة يرأسها أميرها ويدبر شؤونها، وتتجه إلى العمل العسكري مباشرة، ولا تتجه إلى أي شكل من أشكال التنظيم والدعوة والتحرّض، وسوى ذلك من أعمال الجماعات السرية؛ بل تختار هدفها وتهاجمه، وتبلغ أية وسيلة إعلام باسمها الخاص الذي اختارته، وتعلن مسؤوليتها عن العمل الذي قامت به^(١٣).

هذا ما أوجد جماعات متنوعة، مثل: "أجناد مصر"، و"أنصار بيت المقدس"، وغيرهما، بمعنى أن ذلك ما جمع جهد أصحاب الجهاد الفردي، وبقايا التيار الجهادي وأنصاره والمتعاطفين الجدد، وحولها إلى ظاهرة عنف مسلّح، بما يجعلهم يعملون دون الانضواء في تنظيم جامع يلزمهم بما لا يطيقون، بحسب قناعاتهم، وهذه الطريقة تسمح بالانقطاع التام بين تلك الخلايا، بحيث لو كشف أحد فلا يؤثر هذا في بقية من ينوون العمل.

يقول أبو مصعب السوري: سنطلق الفكرة وننشرها كاملة بكل وسيلة؛ مباشرة أو بالمراسلة، أو عبر شبكات الاتصال والإنترنت، بما يضمن سهولة الانتماء ومباشرة العمل دونما تعقيدات في مراحل التنظيم والتكوين والتربية.

وتختلف المستويات بين سرية وأخرى، من حيث الإعداد العسكري والمادي واللوجستي، فمنها: سرايا المقاومة التي تتكوّن من الأفراد والمجموعات الصغيرة محدودة الإمكانيات من حيث التمويل، أو من حيث مستوى التدريب، والسرايا العسكرية العامة التي تتكوّن من الأفراد الذين سبق لهم التدريب، بمستوى متوسط، على استخدام الأسلحة الخفيفة الفردية والمتفجرات، من بقايا خلايا التيار الجهادي وتنظيماته، وأخيراً؛ السرايا النوعية، وهي عالية الإمكانيات الأمنية والحركية والعسكرية والمادية، وتتشكل من العناصر أو المجموعات التي كانت قد تلقّت

12- مصطفى ست مريم، أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية، من منشورات التوحيد والجهاد، تنظيم القاعدة.

13- المصدر السابق.

تدريبًا عاليًا على العمل السري، والإرهاب المدني، وإدارة الخلايا في حروب العصابات والمتفجرات. اشترط فيلسوف تنظيم القاعدة في العضو أن يكون لديه الملكة الإرهابية، وأن يكون منخرطًا في الحياة العامة بشكل عملي، ويطالع كتب الاستخبارات والجاسوسية والحروب الخفية، وكتب (حرب العصابات) بمختلف أشكالها^(١٤).

إذا نظرنا إلى تلك الدوائر التي تتشكل منها الجماعات الجهادية المسلحة؛ سنجد أنها ثلاث دوائر تنظيمية: الأولى: (السرية المركزية)؛ مهمتها الأساسية الإرشاد والتوجيه والدعوة، والثانية: دائرة التنسيق أو السرايا اللامركزية؛ تتكون من العناصر التي أمكن التواصل معها، وإخضاعها لدورات التأهيل الفكري والمنهجي والتربوي، المتكامل فكريًا وسلوكيًا وعسكريًا وحركيًا، من خلال التماس معها؛ حيث يكون برنامج تلك العناصر الارتحال عن الجبهة، والانتشار في الأرض بحسب ظرفهم وحياتهم، والعمل بشكل حرّ ومنفصل تمامًا عن السرية المركزية من الناحية الحركية، بحيث لا يربطهم معها إلا الاسم والهدف والمنهج العقدي والتربوي^(١٥).

أما الدائرة الثانية؛ فهي (سرايا الدعوة والتجنيد)؛ تتكون من فرد إلى ثلاثة أفراد، وهي المسؤولة عن ضمّ عناصر جديدة للتنظيم، ولا علاقة لها بأيّة عمليات عسكرية، وعدتها (inspire) الخلايا البانية الغير مكشوفة، والقادرة على الحركة في أوساط الناس، وتعيش بأمن وحرية، ويكون أفرادها متفهمين لمنهج الجهاد المسلح، ولديهم الأهلية الفكرية لشرحه والدعوة له، وعلى قدر لا بأس به من الفهم الشرعي والسياسي والحركي، ومستوى مناسب في القدرة على التدريب السري على الأسلحة الخفيفة والمتفجرات وأسلحة العصابات الخفيفة الأخرى، احتياطيًا لأيّ عارض أو ظرف، وأما الدائرة الثالثة: فهي السرايا المسلحة العاملة التي تقوم بعملية الإرهاب والتخويف، وتتكون من عنصر إلى خمسة عشر عضوًا^(١٦)

(٤) قواعد التجنيد الجهادي وأسسها:

يقول منظر القاعدة المعروف باسم "عبد الله العدم"^(١٧)، في حزمة من أوراقه حول القواعد والأسس الواجبة لاختيار المجندين بالتنظيمات الجهادية، أو كما يسميها هو بنفسه (التنظيمات التي تستهدف جعل كلمة الله هي العليا، وتأسيس دولة الإسلام على أنقاض الدول الكافرة)^(١٨):

14- المرجع السابق.

15- المرجع السابق.

16- المصدر السابق.

17- عبد الله العدم، اسم حركي لجهادي مصري، قتل في أفغانستان، غير معروف، له دورات تربوية بمعسكرات القاعدة غير منشورة.

18- دورة في التجنيد، برنامج صناعة الإرهاب، نخبة الإعلام الجهادي.

<https://diala99.wordpress.com/2012/10/16/%D8%A8%D8%B1%D9%86%D8%A7%D9%85%D8%AC-%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8-%D8%AA%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%BA-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AA-11-16/>

إنَّ التجنيد يتمّ عبر مجموعة من القواعد، أهمّها:

١- المرحلة الأولى: التّحريات:

تعني، حسب الأوراق، البحث للتأكد من أنّ "المستهدف" يملك المواصفات المطلوبة ليكون "عنصرًا قادرًا على حمل الأمانة".

يجيب "العدم" على سؤال: ما الذي يجعل المجدّد مؤهلاً للأمانة؟ بقوله: "في البداية، يجب أن نجمع المعلومات عن المرشّح للتجنيد، والتحرّي عن كلّ تفاصيل ماضيه مهما كانت صغيرة؛ إن كان قد انضمّ إلى تنظيم ما وانشق عنه، فلا بدّ من معرفة سبب الانضمام والانشقاق، وإن كان انضوى تحت لواء حركة سياسيّة، فينبغي الوصول إلى ملابسات انضمامه ثمّ خروجه؛ حيث لا يمكن، بحال من الأحوال، أن يضمّ التّنظيم أشخاصًا لهم سيرة ذاتيّة غير نقيّة، بما يمكن أجهزة الدولة "الكافرة بالطبع" من الضّغط عليهم، فلو أنّ المرشّح للانضمام إلى الأخوة كان قد ترك تنظيمه السابق لتورّطه فيما يشين، سرقة أو اختلاس أو أيّ سلوك شاذّ، فيجب التّغاضي كليًا عن فكرة انضمامه؛ لأنّ فيها خطرًا كبيرًا، ذلك أنّ الأمن قد يضغط عليه ويجبره على التّجسس على التّنظيم، مقابل عدم فضحه والتّنكيل به" (١٩).

يوصل العدم: "لا نريد عناصر لها تاريخ أسود، ولا نبتغي أشخاصًا يستطيع الأمن أن يضغط عليهم، لهذا؛ يجب أن نتحصّى عن كلّ معلومة، ولا نترك شاردة أو واردة، ذلك أنّ العدو متربّص بنا، يريد أن يأخذنا على حين غرّة، وعندئذ يكون هلاكنا المحتوم" (٢٠).

أكّدت ورقات العدم على:

١- الاهتمام برصد ومعرفة معلومات السّجن؛ إن كان العضو المستهدف قد سُجن من قبل.

٢- معرفة وضع العنصر مع زملائه.

٣- معرفة معلومات عن انتمائه الحزبيّ والجماعيّ من قبل، أو انشقاؤه.

يقول العدم: من المعلومات المهمّة عن المرشّح؛ ما يتّصل بما إذا كان قد اختبر تجربة السّجن أم لم يختبرها، فإن سبق سجنه، فلا بدّ من التّوصّل عن الأسباب التي زجّت به خلف القضبان، كما ينبغي أن يبحثوا عن رفاقه في الزّنازة، فهؤلاء أعراف الناس به، ذلك أنّ الإنسان حين يكون في محنة لا يستطيع إخفاء حقيقة شخصيّته (٢١).

كما نبيّه إلى ضرورة معرفة وضعه بين زملائه في الدّراسة، أصدقائه القدامى، سجنه إذا كان قد سُجن، سبب

19- المصدر السابق.

20- المصدر السابق.

21- المصدر السابق.

تركه التنظيم السابق إن وجد، حالة أهله المادية، تحصيله العلمي، مهنته، قدراته الأخرى التي يتقنها، زواجه، جيرانه، أصدقائه الحاليين، أسفاره الداخلية والخارجية.

أكد عدم على ضرورة الحصول على هذه المعلومات بطريقة غير مباشرة، وبدون علم الشخص، وقال: هناك عدة طرائق نستطيع من خلالها أن نحصل على المعلومات عن الشخص الذي نريد، بالأساليب الآتية: عن طريق إثارة الآخرين الذين يعرفون الشخص المقصود دون إشعارهم بهذا في الحديث، فنذهب إلى أصدقاء هذا الرجل أو أصحابه أو أقاربه، نسأل عن هذا الرجل، لكن نسألهم بطريقة لا توحى لهم بأننا نريد شيئاً، حتى لا نكتشف أنت وتُعرف، ويُعرف هدفك من هذا السؤال.

أما الأمر الآخر: عن طريق المراقبة والتفتيش السري، عن طريق مراقبته، عن طريق مراقبة حركته، أين عمله؟ أين يذهب؟ أين يأتي؟ مع من يلتقي؟ فربما كان قبل أن تضمه إليك، في الأصل، رجل استخبارات أو رجل مخابرات، لكن عن طريق المراقبة تستطيع أن تحدد من هذا الرجل، وأين يذهب، وأين يأتي، ومع من يلتقي، وبذلك تستطيع أن تحدد ماهية هذا الإنسان.

يستمرّ الجهاديون هكذا في جمع المعلومات كي يتأكدوا من النقاط السابقة، ويتوقعون في حالة وجود ما يشير إلى أن الشخص لا يصلح، وينبّهون إلى التأكد من صحة هذه المعلومات من أكثر من شخص، وبطابقتها حتى لا يكون هناك تنافر بين المعلومات.

الاسترسال في الوصول إلى المعلومات: هدفه التصنيف، وهل يصلح هذا الشخص لهذا العمل؟ أو لا يصلح، فإذا كان يصلح لهذا العمل يتبعون معه بعد ذلك:

أ- التفتيش في الدماغ:

إذا انتهت الخطوة الأولى، وثبت بالدليل القاطع أنّ المرشح لا "تشوبه شائبة"، تبدأ الخطوة الأخرى، وهي: التفتيش في دماغ "المستهدف"، بهدف التعرف إلى قناعاته، والوقوف على رؤاه الثقافية والفكرية، وتشكيل ما يمكن وصفه بعدم بـ "لجان تقصي حقائق"، يتولّى أفرادها مهمة جمع المعلومات عن المرشح، عبر لقاءات مع الأقارب والأصدقاء وزملاء الدراسة أو العمل، فهم يجمعون كلّ معلومة مهمة مهما بدت بسيطة، نوع الطعام الذي يحبّه، علاقته الزوجية، مدى برّه لوالديه، مواظبته على الصلاة، الشيوخ الذين يفتنى فتاواهم، ثمّ يحذرون من اختيار عنصر يمتلك مرجعية فكرية ميّالة إلى فكرة الديمقراطية؛ فهي، بطبيعة الحال، لا تتسق مع "مشروعهم"، كما أنّها تدفع مؤيديها إلى الجدل، بما يتنافى مع شرط أن يلتزم المجنّد بالسمع والطاعة، التزاماً "أعمى أصمّ أخرس".

تقول ورقات عدم: "قبل أن نعرض فكرتنا على الرجل، يجب أن نعرف فكره السياسي، بما يشمل من تصوّره للدولة الإسلامية، أو المفاهيم التي تفود إلى إقامة المجتمع المسلم، وترسيخ دين الله- عزّ وجلّ- في الأرض، فلو أنّه

مقتنع بالديمقراطية، فكيف ستعرض عليه، حينئذٍ، الحل الجهادي؟»^(٢٢).

لا يكتفي «الجهاديون» بسؤال أولي القربى من المرشح للتجنيد، فبعد هذه المرحلة ثمة مرحلة المناقشة؛ حيث يشرع السابقون منهم من أولي الخبرة في تجنيد العناصر، بسؤال المجنّد أسئلة غير مباشرة، للوصول إلى الأفكار التي يعتنقها؛ فإن اتّضح - مثلاً - أنّه يميل، ولو ميلاً طفيفاً، إلى فكر اليساريين، أو إلى «الديمقراطية»، أو لديه استعداد لمبادئ الليبرالية، فلا نقاش ولا حوار، ذلك أنّ هذا الشخص ليس من المشروع الإسلامي، ولا يمكن أن يكون جندياً في «جيش الإسلام» وفق ما ورد في الورقات.

هناك أسئلة محورية يطرحونها على المرشح مراراً وتكراراً بصيغ وأساليب مختلفة، من أبرزها: كيف يمكن أن تؤسس دولة الإسلام؟ هل يحتوي الإسلام على نظرية حكم شاملة؟ ما أبرز الوسائل التي يمكن للإسلاميين اللجوء إليها لوقف الحرب الكونية على الدين؟ ما رأيك في جماعة الإخوان؟ كيف ترى الشيخ أسامة بن لادن؟ ما حكم الشرع في الجهاد على الحكام الطواغيت؟

يقول «العدم»: «نحن ننشد مجاهداً لا يتورّع عن بذل روحه في سبيل الله، فإن كانت لديه ذرة من تذبذب أو شك، فلا ينبغي أن يكون معنا، وإن كان رأيه، مثلاً: أنّ بوسعنا الاستعانة بالسلفية الإصلاحية، فلا بدّ من أن نغلق أبوابنا في وجهه، وإن كان ممّن يقولون: إنّ الحل يكمن في أن تؤسلم المجتمع، وتنبئ سياسة الخطوة خطوة، ثمّ نقيم الدولة، فهذا رجل على خطّ مواز، وصعب للمتوازيين أن يلتقيا»^(٢٣).

يضيف «لا بدّ من أن يكون المرشح مؤمناً بالفكر الجادي قلباً وقالباً، سرّاً وجهراً، لا يقبل بأنصاف الحلول، ويتفق معنا دون أدنى اختلاف؛ لأنّ الخلاف مفسدة، يشنّت الجمع ويفسد الأمر».

يضرب مثلاً شديد الخطورة؛ حيث يقول: «فلنفترض أنّ أخوين خرجا معاً في عملية تستهدف قتل شرطي، وكان أحدهما يرى أنّ الشرطي كافر ودمه حلال، والثاني متردد؛ فكيف ستتجح العملية عندئذٍ؟ أليس ممكناً أن يؤدي تردّد أحدهما أو تقاعسه عن تأدية دوره إلى أن يسقط الاثنان معاً، ويجزأ وراءهما عدداً من المجاهدين؟ إنّ الجهاديين لا يمكن، بحال من الأحوال، أن يلتقوا مع غيرهم من الإسلاميين، وعلى رأسهم الإخوان، فنحن لا نرى بديلاً عن ضرب الكفر بحدّ السيف، وهم متنطعون بيتغون وجه ما يسمّى بالديمقراطية، فلن نلتقي أبداً».

لا ينتهي الأمر بالنقاش؛ حيث إذا كشف مع المستهدف عن أنّه يؤمن بأفكار حمل السلاح وإراقة الدماء، يجب أن يخضع لاختبارات متعدّدة، منها: أن يأتوا له بمادّة فيلمية لعملية «جهادية»، ويتمنعون في تعبيرات وجهه فيما

22- عبدالله العدم، دورة كيفية صناعة الإرهاب، نخبة الإعلام الجهادي.

<https://diala99.wordpress.com/2012/10/16/%D8%A8%D8%B1%D9%86%D8%A7%D9%85%D8%AC-%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8-%D8%AA%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%BA-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AA-11-16/>

23- المصدر السابق.

هو يشاهدها، وهذه خطوة بالغة الأهمية؛ فأمام مشهد العملية «الجهادية» لا يمكن أن يكبح المرء مشاعره، وقد ينفعل فيسبب التنظيم، عندئذ ينتهي كل شيء.

في الورقات: «نحن قوم لا نتردد عن فعل أي شيء في سبيل الدعوة، فوجود متردد في وسطنا يمثل شوكة في ظهورنا؛ لأنّ منهجنا واضح جلي، لا مجال للتردد فيه، مشيراً إلى أنّ أسباب هزيمة الإخوان ترجع إلى التحالف مع بعض الجماعات القومية أو اليسارية في سبيل إسقاط النظام، وكان لهذا الاتحاد عواقبه الوخيمة عليهم؛ لأنّ الحركة الجهادية، بشكل عام، لا تلتقي مع المناهج المخالفة لفكرها؛ لأنّها، إذا لم تصطدم معها في البداية، ستصطدم في النهاية» فوضوح المنهج والفكر وتبني جميع أفراد التنظيم له يجعل الخلافات بين أفراد التنظيم في إطار المسائل التي تحتل الخلاف المعتبر، ولا بدّ من وجود المنهج الواحد، وتبني الفكر الواحد يقلل من الخلافات بين أفراد التنظيم، فعندما يقتنعون بقناعات واحدة وأفكار واحدة، لا يكون هناك خلافات بين أفراد الجماعة، وإن كانت هناك خلافات، فستكون ضمن الخلاف المعتبر المقبول، وليست اختلافات قاصمة، أو اختلافات لا يمكن الالتقاء معها، خلافات معتبرة ربّما تكون في المسائل الخلافية، أمّا المنهج العام والأسس العامة فيجب أن لا يكون فيها خلاف حتى يستمرّ العمل، وهذا موضوع المنهج قد يترتب عليه خلافات كبيرة^(٢٤).

يقول الجهادي حازم المدني: هدفنا الأساسي:

- ١- تعريف الأمة، بكافة فئاتها وشرائعها، من هو العدو وماذا يريد.
- ٢- التأكيد على دور الأمة في مواجهة أعدائها (والتاريخ الإسلامي، القديم والمعاصر، حافل بالنماذج).
- ٣- وضع منهج تنقيفي للأمة يُعنى بالفهم السياسي والأمني والعسكري لتحقيق وحدة تحرك واعية.
- ٤- العمل على توجيه الحماسة الشبابية لا تقزيمها.
- ٥- نشر كلّ ما يرفع الرّوح المعنوية للأمة دون مبالغة أو تهوين.
- ٦- الجهاد في سبيل الله بتكوين الطليعة والقُدوة.

لهذا؛ توجّب على أبناء الحركة الإسلامية أن يبادروا بالعمل، كلّ في ميدانه، لتوعية الأمة، وشحذ همّتها، وتحضيرها للصراع القادم، وألا تقبل الخنوع أو الخضوع، أو ترضى بالذلّ والهوان في ظلّ الغرب، فالدّعاة إلى الله يبذلون الوسع وينطلقون في ميادين الدعوة بكل الوسائل المتاحة، والصّحفيون والكتّاب المخلصون يجتهدون في ميادينهم، والمجاهدون ينطلقون بأسلحتهم، وجماعات الإصلاح والدّعوة والوعاظ والخطباء وشرائح المجتمع المسلم يخذلون عنا الأعداء قدر جهدهم، ولنعمل معاً تحت شعار «يد واحدة ضدّ أعداء الأمة»^(٢٥).

24- المصدر السابق.

25- المدني حازم، هكذا نرى الجهاد ونريده، رسالة لتنظيم القاعدة، التوحيد والجهاد.

٢- التثبيت:

عقب التأكد من أنّ المرشح صالح للانضمام للتنظيم، تبدأ خطوة التثبيت التي تركز على ضرورة عدم تراجعته أو انشغاقه عنه؛ لأنّ المنشقين، بما يحملون من أسرار، يمثلون خطراً كبيراً على الجماعة، وربما يستطيع الأمن في أية دولة أن يستغل ما لديهم من معلومات، ليوّجه لهم ضربات قاصمة.

يقول «العدم»: بعدما تتشكّل لدينا فكرة شاملة عن المجدّد، ويصبح عضواً في الجماعة، يجب أن نبحث في حياته، ونتقصّى عن نقاط الضعف لديه، فإن كان ضعفه يكمن في شهواته الجنسيّة فلا بأس من أن نزوجه مثنيّاً وثلاثاً ورباعاً، وأن ندغدغ مشاعره بالسبائيا وما ملكت الأيمان، وإذا وجدنا أنّه يعشق المال، فهذا متاع من متاع الدنيا نبذله له، وإن طلب الشهرة رفعناه مكاناً عاليّاً وجعلناه ملء الأسماع والأبصار، وإنّ الكشف عن نقاط ضعف المرشح يأتي بالتوازي مع جمع المعلومات عن سلوكيّاته وأفكاره، وقد يتطلّب الأمر، هنا، أن نبحث عن رفاق دراسته، ونتقصّى عن سلوكه في شبابه المبكر، وحالته الماديّة والصحيّة، وحياته السريّة التي لا يعلمها إلاّ خلاصه المقرّبون»^(٢٦).

الثابت أنّ لكلّ إنسان نقطة ضعف، وهذا الضعف بوابة يدخلون منها إلى أعماق المجدّد، وكلّما تراكمت المعلومات عن المجدّد، أصبح سهل الانقياد للجماعة، وهذا هو المجدّد المثاليّ القادر على تأدية المنوط به من مهامّ جسيمة للتنظيم.

المرحلة الثانية: بناء الجسور المؤمّنة:

بعد أن يتأكد المجدّد (بكسر النون) من أنّ العنصر المستهدف بالتجنيد يصلح للعمل الجهادي والتنظيمي، تبدأ المرحلة الثانية: وهي إقامة علاقة شخصيّة معه، ويشرع، من هنا، عبد الله العدم في شرح كيفية إقامة علاقة بين الشّخص القائم بالعمل التنظيمي، وبين الشّخص المراد تنظيمه لإفهامه طبيعة هذا الدّين، على حدّ قوله، وتكوين وحدة فكريّة يستمرّ من خلالها.

عندها، يذهب إليه المسؤول عن أمن التنظيم، أو المسؤول عن العمل التنظيمي، ويعرض عليه الفكرة، لكن يلفت «العدم» هنا إلى أنّه يجب أن نتنبه أنّنا نغرس في الأخ الولاء لدين الله عزّ وجلّ، لا الولاء للأشخاص، ولا الولاء للأمير، نغرس في نفسه حبّ الله ورسوله، حتّى يكون متعلّقاً بهذا الدّين، وليس متعلّقاً بشخص أمير التنظيم، أو بالشّخص الذي جنّده للعمل في التنظيم، لأنّه لو، لا سمح الله، سقط هذا الرّجل، أو ارتدّ على عقبيه، أو قُتل، سيتوقّف الجهاد؟! ما يتوقّف.

يعود «العدم» إلى الأمور التي تجعل هذا الفرد ينتظم في العمل الجهادي، أو العمل التنظيمي، ويرتبط ارتباطاً قوياً ومصيرياً بالعمل، بالجماعة، من هذه الأمور: أن يرتبط هذا الأخ الجديد بالجماعة بعلاقة اجتماعيّة-

26- عبد الله العدم، كيفية صناعة الإرهاب، نخبة الإعلام الجهادي.

أسرية؛ زواج إلى غير ذلك، بحيث يرتبط هذا الأخ، ويتحمّل مع أفراد الجماعة هموم الجماعة وآمال الجماعة. من هذه الأمور أيضاً: علاقات فكرية لتوحيد الرؤية وأسلوب العمل، بأن يكون الرّابط بيننا وبينه الفكر والأسلوب الصحيح للعمل، حتّى لا تختلف وجهات النظر، وأساليب العمل.

تكمّل أوراق التجنيد؛ إنّ تجربة هذا العنصر التّأكد من لياقته النفسية والطبيّة والعقلية، وكذلك الاختبارات السيكولوجية لقياس قدرته على كتم الأسرار، وثبات العاطفة والتعاون، وحسن التصرف، والأخلاق، والروح المعنوية، ووضعه على الثّغر المناسب، هو مهمّ للغاية للتّنظيم كي يتطّيع وضعه في مكانه المناسب، فليس كلّ شخص- مثلاً- يصلح أن يكون مقاتلاً، وليس كلّ شخص آخر يستطيع أن يصلح أن يكون رجلاً إعلامياً، وليس كلّ شخص يستطيع أن يكون رجل أمن.

تقول الورقات: نضع الرّجل المناسب في المكان المناسب، أخ- مثلاً- لا يستطيع أن يكتم الأسرار، فهذا نجعله مثلاً فرداً علنياً، ليس ضرورياً أن يكون مسؤولاً عن عمل خارجي، وليس مسؤولاً- مثلاً- في كثير من الأمور التي تتطلّب سرية خاصة، هذا الذي لا يستطيع أن يكتم الأسرار ستكون مصيبة كبيرة، هذا، في الأصل، لا يُعطى أية صلاحية، ولا يُعطى أية مهام، بسبب كثرة كلامه^(٢٧).

تبدأ هذه المرحلة بجذب الشّخص الهدف بعد معرفة البروفایل النفسي له بعمق، ويكون في هذه المرحلة بذكر مسائل التّوحيد والحاكمية والولاء والبراء والتّركيز على أهمية الحكم بالقرآن، وأنّ الجهاد هو الحلّ وزرع الشّبهات التكفيرية والمتطرّفة، ودفع الشّاب الهدف إلى الاستماع إلى كلّ ما يجعله حزين، والاستعانة بالخطباء والخطب الصوتية الحزينة، وبالاستماع للأناشيد الحماسية، بالتالي، يسهّل دخول الأفكار التكفيرية والمتطرّفة إلى أدمغة الشّباب دون مقاومة منهم.

الأهمّ في هذه المرحلة: هو عزل العضو عن البيئة التي قد تؤثر فيه سلبيّاً بالصدّ من أفكارهم، وربّما يصل الأمر إلى عزلهم عن أسرهم، تحت عنوان «السياحة والتّرفيه».

والخطوة التالية: هي التي تُعنى بالدّورات الفكرية، مثل: أهمية العمل الجماعي، ويتمّ في هذه المرحلة إسقاط كلّ علماء الدّين المعادين للفكر الإسلامي، وبعدها، تبدأ الخطوة الثالثة: التي يتمّ فيها التّصنيف إلى (مقاتل، متخصّص، انغماسي، انتحاري).

تحدّث موسوعة صناعة الإرهاب عن الخطوة التي يتمّ فيها إحكام السيطرة على الشّاب المستهدّف، بإبدال الوثائق الرسمية له بوثائق مزوّرة، واستبدال اسمه بكنية، وبنسيان هذا الشّاب اسمه ينسى معه كلّ الذكريات التي كانت في بلده، وتعدّ هذه الطّريقة أسلوباً من أساليب غسل الأدمغة أيضاً، أو التّنويم المغناطيسي للعضو المستهدّف، وهو ما تقوم به كلّ الجماعات العاملة في حقل الإسلام السياسي بلا استثناء، «أنّ الإسلام الحقيقي غاب عن

27- المصدر السابق.

واقع المسلمين، وأنّ الدين لم يعد يوجّه سلوك الناس أو حياتهم، سوى في النذر اليسير، وأنّ الإسلام الموجود في المجتمع؛ هو إسلام بعيد عن الحقيقي الذي يحتاج إلى من يجسده في الواقع، ليقترّب من الصورة الذهنية التاريخية له، والمحصورة في مرحلة النبوة والخلافة الراشدة فقط».

استفاد الجهاديون، في تلك الخطوات، من جماعة «الإخوان المسلمون»؛ ففي كتاب «الدعوة الفردية» للمرشد الخامس مصطفى مشهور، تمّ التأكيد على أن يُقرب الأشخاص الغاضبون من الشرطة والقضاء، والمنتقدون للقوات المسلحة؛ لأنّ الجماعة تحتاج إلى تكاتف الجهود، وجمع الشمل، ووحدة الصف، وهذا هو ما يسمّى باستهداف الأعضاء^(٢٨).

الشباب، وتحديدًا شريحة الطلاب، هم هدف مركزيّ مستهدف بقوة؛ لأنهم المنبع الأساسي لتمدّد التنظيمات، لذا فقد وضعت كلّ جماعة منهم خطة كبيرة، تركز على توجيه طاقات الشباب إلى أنشطة الجماعة، واختيار العناصر والكفاءات التي تتسم بالقدرة على القيادة، لضمّها إلى التنظيم.

كما تلجأ الجماعات، بلا استثناء، إلى أتباع أمور، منها: الدعوة الفردية والفئوية، وترسيخ المفاهيم، واختيار الموضوعات التي تهّم تلك الشريحة، وكذلك الأطفال الذين يستوعبون بكلّ الوسائل، مثل: الحواديت، وتوزيع الهدايا عليهم، واصطحابهم في الرحلات، وإقامة المسابقات، ولعب كرة القدم معهم، وهو ما يسمّى بنظام الاستقطاب.

ويبدأ التنظيم في طباعة عقل العضو بأنّ الخلافة أمر واجب، وأنّ السعي إليه واجب، وأنّ التنظيم من الواجبات، والسمع والطاعة شرط لا يجوز النقصير فيه، وأنّ المعركة بين الإسلام وأعدائه، في الأصل، هي معركة عقائدية حول التوحيد، أو حول من يكون الحكم والسلطان، لمنهج الله ولشرعه أو للمناهج الأرضية والمبادئ المادية أو لمدّعي الوساطة بين الخالق وخلقهم، وما دامت الجاهلية عمّت فلا بدّ من أن يكون هناك محاولات لإعادة الإسلام، وهذا ما يتصوّر العضو نفسه يفعله؛ لذا فهو يستلهم فقه السيرة الحركية، باعتباره يواجه نفس ما واجهه النبي في رحلة نشر الدين، يقول أيمن الظواهري، في كتابه «ريح الجنة.. وجوب إتلاف النفس في سبيل الله»: فمن ألقى بنفسه في الهلاك لصالح دينه أو لصالح المسلمين؛ فقد فدى دينه وإخوانه بنفسه، وذلك غاية التضحية وأعلىها، وكم للمسلمين الأوائل من مواقف مشهودة كلها تضحية وفداء، وبذلك تستطيع أن تجيز ما يفعله الفدائي المسلم في عصرنا هذا من أعمال يذهب هو ضحيتها، بعد أن يكون قد نكّل بالعدو، وقتل، ودمّر، وذلك مثل: إغراق سفينة بمن فيها من الأعداء وهو معهم، أو احتلال فندق لقتل من فيه من المقاتلين وهو يعلم أنّه مقتول معهم، أو وضع متفجرات في معسكر، أو في مصنع حربي، أو في إدارة عسكرية للقضاء على من فيها وهو يعلم أنّه لا نجاة له، إلى آخر مثل

28- مشهور مصطفى، الدعوة الفردية، دار الوفاء للنشر، ص 67.

هذه الأمور^(٢٩).

(٥) طوائف التجنيد:

يرى دعاة التنظيمات الجهادية، من خلال خبراتهم في التجنيد؛ أنّ هناك طوائف تعدّ تربة خصبة للتجنيد مع توفر عنصر الأمان، وهناك طوائف أخرى لا تصلح، ولكلّ قاعدة استثناءاتها، وهذه الطوائف ذكرها أبو عمرو القاعدي (مسمّى حركي) في بحثه المنشور على عدد من المواقع الجهادية بعنوان (دوره في فنّ التجنيد)^(٣٠)، وهي:

١- غير المتديّنين:

هذا القطاع المفضّل لدى الدعاة الجهاديين، وربما غيرهم، ذلك لأنّ المجنّد الذي يصوّب نحو الهدف يختار من يريد أن يكون معه في سرّيته^(٣١).

٢- المتديّنون الجدد:

يعدّ الجهاديون الشاب الملتزم حديثاً ما دعاه لالتزام بدينه، وترك الشهوات، والاعتصام بحبل الله إلاّ حبه للدين؛ فالملتزم حديثاً- غير منضمّ لأيّة جماعة- غالباً ما يبدأ بالبحث عن صحبة، وغالباً الصحبة تكون هي الطريق للمنهج.

٣- المتديّنون عموماً:

كلّ متديّن لا يوجد عنده أحد العوائق الأربعة الآتية يجوز تجنيده: ألاّ يكون جباناً، وثرثاراً، وألاّ يحمل فكراً معادياً، وليس بخيلاً.

٤- المتحوّلون من الجماعات الحركية إلى السلفية؛ لأنّ من يترك تلك الجماعات، في وجهة نظر الجهاديين، يتركها بسبب مخالفتها، وغالباً لا يستمع لمخالفتهم إلاّ من السلفيين أو من علماء السلفية، وغالباً لا يترك التديّن، لكنّه، في نفس الوقت، لا بدّ من أن يترك تلك الجماعات، فيتحوّل بصورة طبيعية إلى السلفية، لكنّه غالباً لا يرضيه الحال، بسبب تشتت السلفيين، وأيضاً لأنّه يكون قد رأى حركية تلك الجماعات، ولا يجد ذلك في السلفية التقليدية، فيريد أن يجمع بين هذا وذاك فلا يجد خيراً من السلفية الجهادية.

٥- الشّباب البعيد عن الدّين؛ حيث تجده متديّناً أو غير متديّن، فيه عيوب فيجذب أو فيه سمات مهمّة فيقرب، وفق أبو عمر القاعدي^(٣٢).

29- الطواهي أيمن، ربح الجنة، مؤسسة البتار الإعلامية، ص

30- القاعدي أبو عمر، دورة في فنّ التجنيد، دراسة ووثائق غير منشورة لتنظيم القاعدة.

31- يقول أبو عمر القاعدي في بحثه المعنون بـ «دوره في فنّ التجنيد»، والمنشور على عدد من المواقع الجهادية (وهذه الطائفة من الناس لا يحصى عددها، خصوصاً من الشّباب، وهم من أفضل الناس أمنياً، والله الحمد، لكن يظلّ الحذر قائماً).

32- القاعدي أبو عمر، دورة في فنّ التجنيد الجهادي، ورقات غير منشورة.

- ٦- قواعد الجماعات الإسلامية عموماً، مثل: أفراد الدعوة والتبليغ، والإخوان، وغيرهم.
- ٧- طلبة الجامعة، وطلبة المدارس؛ فميزة هذا القطاع لدى الجهاديين، هي صفاء ذهنهم غالباً، وأنهم غير معروفين أميناً.

(٦) التطبيقات العملية لبرامج التجنيد الجهادي:

حين تنتهي الخطوات والمراحل للعملية التجنيدية، يقوم المسؤولون عن تلك العملية بتطبيق عملي للمحاسبة، أوردها أبو عمر القاعدي بالكامل (أذهب وأحضِر ورقة وقلم، ثم خذ نفساً عميقاً، وتذكر أسماء الناس الذين حادثتهم من قبل في الجهاد، من استجاب منهم ومن لم يستجب، وأسأل نفسك، واستفد من المعلومات السابقة الذكر، لم لم يتجاوب معي الأخ فلان؟ ولم تجاوب معي الأخ فلان؟ ثم تذكر كيف أصبحت أنت سلفياً جهادياً، وتذكر الطريقة العشوائية التي تبنت بها الفكر، وكيف حدث هذا؟ وعلى مدار كم من الوقت؟ وما الوسائل التي ساعدتك في تربيته؟ وما هي أكثر العوامل التي أثرت بك وجعلتك تتبنى هذا الفكر؟ بإجابتك عن هذه الأسئلة سوف نستفيد عدة أمور قبل البداية، منها: أولاً: ستكون قادراً على فهم طبيعة العمل في البرنامج وفوائده؛ إذ يتجنب العيوب التي وقعت فيها، التي سنتكشفها بمجرد قرائتك للبرنامج، وثانياً: سنتيح لك الإجابة عن الأسئلة السابقة فرصة للتأمل والتفكير في أفكار جديدة ووسائل مبتكرة، وذلك من خلال تجربتك الشخصية السابقة^(٣٣).

(٧) خطوات التجنيد الفردي لدى الجهاديين:

الأولى: التعارف والاختيار، على أسس الأخلاق الأساسية: كأن يكون شجاعاً، واضحاً، وكريماً، إيجابياً، ولا يحب الثرثرة، عنده روح المساعدة والأخلاق الإسلامية، مواظب على العبادة، عليه سمت الالتزام بالتميز والتميز، كأن يكون صاحب ذهن خالٍ من أي فكرٍ معادٍ، وأن يكون قريباً أو صديقاً قديماً، على سبيل المثال، أو قريباً بالسنن، أو قريباً من السكن، ويتميز بالاستقرار والتماسك العائلي، والظروف المادية^(٣٤).

الخطوة الثانية: التقارب؛ مدتها تقريباً: ثلاثة أسابيع، وتسير على محورين: الأول: التقرب إليه بأعمال يومية، والثاني: التقرب إليه بأعمال أسبوعية.

ومن أمثلة الأعمال اليومية، وفق ما ذكر في كتاب، أن يكونا في عمل أو جامعة سوياً، فيذهب معه يومياً، أو أن يذهبا إلى الصلاة في مسجد معين يومياً، وأن تتصل به هاتفياً، أو ترسل إليه رسالة دعوية جميلة على الجوال. كما من أمثلة الأعمال الأسبوعية: أن تزوره في بيته، سواء للسؤال والاطمئنان عليه، أو أن تحرص أن تقضي له شيء من حوائجه في هذا الأسبوع، أو أن تدعوه لغداء، أو أن تدعوه لإفطار، حتى تزيل الفوارق.

33- القاعدي، أبو عمر، دورة في فن التجنيد الجهادي، ورقات غير منشورة.

34- المصدر السابق.

في هذه الخطوة؛ يبدأ عضو التجنيد التحدّث مع المستهدف في أمور الإسلام، وتحبيبه في أمور الطاعة الإيمانية، كما يتعرّف على اهتماماته وعلاقاته بالناس، وكيف يقضي الأربع وعشرين ساعة كاملة؛ أي أن يدرسه أمنياً حتى يطمئن على اختياره.

الأعمال الإيسبوعية					الأعمال اليومية			
هدية	أحزانه وأفراحه		إحسان مع إساءة	قضاء حوائجه	زيارة	اتصال	دعاء	عمل

شكل (1) خطة الجهاديين لحلّ سلبيات المستهدف بالتجنيد

يقوم الجهاديون، عقب الخطوة الثانية، باستبيان نهاية المدّة، يُظهر حسن اختيارهم للعضو المستهدف بالتجنيد، وإذا كانت الإجابة بـ (لا) يأخذ المجنّد درجة واحدة، وإذا كانت الإجابة بـ (أحياناً) يأخذ درجتين، وإذا كانت الإجابة بـ (نعم) يأخذ ثلاث درجات.

السؤال	لا 1	أحياناً 2	نعم 3
1/ هل هو حريص على رؤيتك؟			
2/ هل يتحدّث معك عن ظروفه الخاصّة وآماله؟			
3/ هل يلجأ إليك في قضاء حوائجه بعد الله؟			
4/ هل هو مطيع لك فيما تطلب؟			
5/ هل أخبرك بأنه يحبّك؟			
6/ هل ازداد حبّه في قلبك؟			
7/ هل يحبّ أن يقضي وقتاً كبيراً معك؟			
8/ هل يقبل نصحك- إذا نصحت- ويحترم رأيك؟			

شكل رقم (2) استبيان للجهاديين حول نجاح المرحلة الثانية للتجنيد

السؤال	نفذ	لم ينفذ
//1 هل عرفت كيف يقضي أغلب وقته؟		
//2 هل عرفت أغلب علاقاته وارتباطاته ومع من؟		
//3 هل عرفت مفاتيح شخصيته ونقاط ضعفه؟		

شكل رقم (٣) استبيان أمني حول المرحلة الثانية من التجنيد

الخطوة الثالثة: إيقاظ الإيمان، ومدتها من شهر ونصف إلى شهرين، ويمكن أن تستغرق أكثر، وفي هذه المرحلة؛ يتكلم المجنّدون (بكسر النون) عن الجهاد، وفلسطين؛ لأنها قضية لا يختلف عليها أحد، كما يحرصون على أن تكون الشخصيات الجهادية التي يمكن للمستقطب أن يقابلها في هذه المرحلة، سواء في إصدارات أو خطب أو غيره، هي أسامة بن لادن والظواهري، ورموز القاعدة، وبعد مدة عشرة أيام أو أسبوعين، يجيب المجنّد (بكسر النون) عن الاستبيان الوارد في الشكل الآتي:

السؤال	لا	أحياناً	نعم
	1	2	3
1/ هل أنت حريص على العمل قبل الوعظ؟			
2/ هل تجتهد في أوردك والسّنن والدعاء لك وله؟			
3/ هل قرأت الكتيبات وسمعت الشرائط قبل إعطائها له؟			
4/ هل تقلل من الجلوس على الإنترنت من غير فائدة؟			
5/ هل تترك المدعو فترة أسبوع من غير اتصال؟			
6/ هل تفرط في قيام الليل وصلاة الفجر؟			

شكل (٤) استبيان حول الخطوة الثالثة.

رابعاً: خطوة زرع المفاهيم، ومدتها شهران، ويمكن أن تزيد، والمفاهيم المطلوب ترسيخها في هذه المرحلة فريضة الجهاد ووجوب الإعداد، والولاء والبراء، عبر عدّة وسائل: مشاهدة الإصدارات الجهادية، إشراكه في أحد المنتديات الجهادية، مشاركته في الدعوة على الإنترنت، القراءة من المكتبة الجهادية، وفي هذه المرحلة تتم معرفة: هل رسخت عند المستهدف المفاهيم الجهادية؟ وهل ظهره احترامه وتوقيره للرموز الجهادية؟ هل ظهر عليه بوادر الفكر الجهادي في حديثه وعلاقاته؟

الخطوة الأخيرة (تكوين السرية)؛ حيث يتم ضمّ الأعضاء الجدد بعد التأكد ممّن وصل إلى اقتناع بأهمّ مبادئ الفكر الجهادي، مع وجود رغبة صادقة في الجهاد عنده، وأهمّ سمات هذه المرحلة؛ أن يتمّ إضفاء الطابع الحركي عليه^(٣٥).

(٨) الناقل والمضافات للعضو المجند:

المقصود بالناقل والمضافات؛ هي تلك الأساليب لنقل قيم إلى العضو المستهدف بالتجنيد، ووضع قيم أخرى مكانها، وفي شروط الالتحاق بالقاعدة، أوضح سيف العدل الآتي^(٣٦):

١. الالتزام بمنهج القاعدة واعتقادها وأهدافها.
٢. السمع والطاعة لولاة الأمور قدر الاستطاعة في غير معصية.
٣. عدم الجمع بين عضوية القاعدة وعضوية أية جماعة إسلامية أخرى.
٤. المحافظة على السرية في العمل.
٥. السلام البدنية إلا في الأمور الإدارية.
٦. أن لا يكون المرشح متهمًا في دينه أو عدالته أو خلقه.
٧. تلاوة عهد القاعدة.

على العضو واجبات، أهمّها:

١. المحافظة على وحدة القاعدة مقصد شرعي مهم.
٢. المحافظة على آداب الإسلام، واجتناب وسائل اللّهو والفساد، واجتناب قرناء السوء، والتنبّث في الأخبار تحملاً وأداءً.
٣. المحافظة على أكل الحلال الطيب، قال صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً).

35- وثائق لتنظيم القاعدة غير منشورة، دورة أبو عمر القاعدي في التجنيد.

36- سيف العدل، رسائل في معسكرات القاعدة، وثائق غير منشورة.

٤. المحافظة على اللياقة البدنية والتدريب العسكري قدر الاستطاعة.

٥. لا تتحدث عن عملك المكلف به من قبل القاعدة مع الناس، ولو علمت أنهم من أعضاء هذه القاعدة، والشخص الوحيد الذي تتحدث معه في ذلك؛ هو أميرك المباشر، إلا أن يُطلب منك غير ذلك، إذا كان عملك يستدعي مشاركة آخرين، ويكون ذلك بإرشاد من القيادة.

٦. المحافظة على الأموال العامة التابعة للقاعدة وعدم الخوض فيها.

هذا ما ورد، أيضاً، في (لائحة المضافة) للأمير العام (أبو عطاء الشرقي) (٣٧).

- ١- الالتزام ببرنامج المضافة في كل جزئياته، صغيرها وكبيرها.
- ٢- عدم الخروج من المضافة إلا بعد استئذان المسؤول أو نائبه، ولا تجتهد.
- ٣- قَلِّ من وجودك خارج المضافة، لأسباب أمنية.
- ٤- حاول الاستفادة من وقتك خلال تواجدك عندنا بالقراءة في كتاب الله تعالى.
- ٥- لا نسمح بالتكلم أو التناقش في المسائل الخلافية والمذهبية، ومسائل الجماعات والتنظيمات على اختلاف أقسامها وأنواعها، كما لا نسمح بنقد الشخصيات المحسوبة على الإسلام من علماء ومفكرين.

حين وقعت عدّة مشكلات من الجهاديين من ناحية النقاشات الحادة التي دارت بينهم، تمّ التنبيه فيما يسمّى (ملاحظات من عبد الهادي)، ووضعت حلول واقتراحات:

1. تعديل أو طرح سياسة عامة للتنظيم ككلّ، خصوصاً، فيما يتعلّق بسيرة الأخ المجاهد، مع موازنة مسألة الأخذ والعطاء والجوانب النظرية والعملية.
2. وضع سياسة إدارية تُراعى فيها المصلحة العامة للتنظيم، لضبط توزيع الإمكانات، ومتابعة الإنجازات وتنميتها وتطويرها، بدل استقلالية الأقسام الموجودة، والتسابق على الأفراد والكوادر فيما بينها، مما يؤدي، بالتالي، إلى عدم استكمال أيّ قسم من الأقسام لأيّ برنامج، سواء كان قصير المدى أو بعيد.
3. إعادة النظر بالبرامج التدريبية والسياسة التدريبية عامةً، بما يكون لدينا أخصاً مجاهداً مُدرّباً يعرف كيف يحول الأمور التي تعلّمها إلى واقع عمليّ، وليساعده على مواجهة كلّ المشكلات والأمور التي ستواجهه في الجبهة من (أمور إدارية وقاتلية وغيرها).
4. وضع سياسة واضحة لمشاركة الطلبة في الجبهة التي تُراعى فيها كلّ النقاط السلبية التي ذكرناها سابقاً.

(٩) التجنيد في تحقيقات الجهاديين:

كشفت كثير من أوراق التحقيقات التي أجرتها النيابة العامة المصرية، بشكل مباشر، المراحل الأولية لعمليات

37- لائحة المضافة، للأمير العام لمعسكر الفاروق لتنظيم القاعدة، أبو عطاء الشرقي، وثيقة غير منشورة.

تجنيد العناصر المتهمّة، التي يجري التحقيق معها على ذم قضايا إرهابية.

ولوحظ من تلك التحقيقات؛ أنّ غالبية عناصرها مرّوا في مراحلهم الأولى في التجنيد على شيوخ ما، يُعرفون بالسلفية العملية أو الدعوية، ثمّ انخرطوا، في مراحل تالية، إلى التّنظيمات والخلايا السلفية الجهادية.

كما تبين من أوراق التحقيقات ووثائق اعترافاتهم؛ أنّ العملية التجنيدية مرّت، أحياناً، بخطوات وسيطة عبر بعض الجماعات الأخرى.

اختلفت عمليّات تجنيد الجهاديين وفق الأوراق، فلم تعتمد على التزكية أو الارتكازات مثل المساجد، واعتمدت على أماكن بديلة، ليس بالضرورة أن تكون من الأماكن المتعارف عليها؛ كالجمعيّات الدينيّة وغيرها؛ بل اعتمدت على العالم الافتراضيّ (الإنترنت).

عادل حبارة: هو عنصر ذاع صيته بعد اتّهامه في قتل خمسة وعشرين جنديّاً من جنود الأمن المركزيّ المصريّ، واشتهرت العملية إعلامياً باسم "مجزرة رفح الثانية"، عندما سأله المحقّق عن بداية التزامه الديني، أجاب^(٣٨): "ولدت في منطقة الأحرار بأبو كبير، والدي يعمل طبّاخاً بالمدينة الجامعيّة، وقبل أن ألتمز، كنت عامل "بوفيه" في مقهى اسمه (السّكرية)، وفي يوم ما مررت من أمام مسجد الاستقامة فصلّيت فيه، واشترت كتباً من البائعين الموجودين أمام المسجد، وفي عام ٢٠٠٥؛ سمعت أنّ الشيخ محمد حسّان سيلقي درساً كلّ يوم أربعاء بعد صلاة المغرب في مجمع التوحيد بالمنصورة، وكنت أذهب بصفة مستمرّة، وتعرّفت إلى مجموعة، وتطوّرت العلاقة بيني وبينهم، لكن انقطعت علاقتي بهم بعد ثورة ٢٥؛ لأنّهم غيّرُوا مبادئهم، وعملوا ما كانوا يستنكرونه على جماعة الإخوان المسلمين عمله، وانضمّوا إلى حزب "النور"، رغم أنّ الأحزاب ليست من الإسلام، وذلك لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}، وكما قال الرّسول ﷺ: (ستكون أمّتي على بضع وسبعين شعبة، كلّها في النّار، إلّا ما أنا عليه وأصحابي)».

في موضع آخر؛ عرج «حبارة» على طبيعة الدّروس التي كان يتلقاها، قائلاً: «الدّروس التي كان يلقيها الشيخ محمد حسّان كانت تتناول السيرة النبويّة الشريفة، وأحد الحاضرين قال للشيخ إنّ ابنه وقع في الزنى، فماذا يفعل كي يطهر نفسه؟ فأجابه: إنّ الشريعة غير مطبّقة في مصر، ومن خلال تلك المحاضرات تعلّمت أموراً كثيرة عن الدّين الإسلاميّ، هي: النّسك، والولاء، والبراء، ومبدأ الحاكميّة، التي يجب الإيمان بها جميعاً، وفي قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}، دلالة واضحة من الله لمن يكون الحبّ، ولمن يكون البغض، وللأسف؛ القائمون على الحكم في البلاد يجب بغضهم لتعطيهم أحكام الله، ويجب قتال كلّ من الجيش والشرطة الكافرين؛ لأنّهم من الكفرة الطّغاة المحاربين لشرع الله، وكذلك النّصارى يجب بغضهم؛ فهم من الكفرة..).

ثمّ انتقل المحقّق إلى التّركيز في عدّة أسئلة، جاءت كالاتي:

38- وثائق التحقيق مع عادل حبار بنياية أمن التّولة.

• ما الذي تناولته تلك المحاضرات؟

كانت تتحدّث عن السيرة النبوية.

• هل تناولت أمورًا تتعلّق بال عقيدة؟

لا، لكنّ الشيخ حسن كان يجيب عن بعض الأسئلة التي تتعلّق بالعقيدة.

• منذ متى بدأت تستمع إلى الدروس المسجّلة؟

منذ عام ٢٠٠٢، في نفس وقت حضور المحاضرات، وكنت أشتري شرائط مسجّلة من مجمع التوحيد بالمنصورة.

• من ألقى تلك الدروس المسجّلة التي استمعت إليها؟

سمعتُ سلسلة دروس للشيخ فوزي السعيد بعنوان «المجادلين عن الكفر بالطاغوت»، وتحدّث فيها عن الطاغوت الذي لا يطبّق شرع الله، واستمعت إلى خطبة الولاء والبراء للشيخ محمد حسن، وتسجيل للشيخ محمد الزغبى بعنوان «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، تحدّث فيه عن مراتبه، وهذا ما أتذكّره الآن.

في السياق ذاته؛ روى عبد الرحمن علي إسكندر، المتّهم بالعمل على إعادة إحياء «تنظيم الجهاد» أمام النيابة، قصة تحوّل انتمائه من التيار السلفي إلى التيار الجهادي، قائلاً: «الأمر بدأ بسماع خطب الشيخ محمد حسن ومحمود المصري ودروسهما في مسجد العزيز بالله، ودروس أبو إسحاق الحويني، وياسر برهامي، ومحمد إسماعيل المقدم، ولم تكن أمور الحاكمية تشغل ذهني، كما التحقت بمعهد العزيز بالله التابع لجماعة أنصار السنة المحمدية».

عن بداية فكرة الثورة الإسلامية المسلّحة، قال: «ذهبت إلى ميدان التحرير بعد ثورة يناير، فتعرّفت هناك إلى شيوخ السلفية الجهادية، ووجدت فيهم ضالتي، وفكرنا في الدّفع بالشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل، لتولّي رئاسة الجمهورية، دون إجراء انتخابات لتوافر معظم شروط الحاكم فيه أكثر من غيره، ومنها: الكفاءة، والدراية الشرعية، والقدرة على احتواء الأفراد؛ ففي اعتقادنا أنّ المسار الديمقراطيّ حرام، وبدأنا العمل في أن تكون هناك جماعة لتحويل المسار الديمقراطيّ، إلى مسار إسلامي».

وتابع: «العلاقة بين السلفية والجهادية توتّرت بعد مقتل عدد من الجنود في رفح، والقبض على خلية مدينة نصر، فانسحب دور السلفية الجهادية، واقتصر على تفسير الشباب إلى سوريا للجهاد هناك، فيما كان بعض الشباب متحمسين لقيام الثورة الإسلامية، والمقصود بها: إحداث حالة من الحراك الشعبي، كالذي وقع في يوم ٢٨ يناير عام ٢٠١١، على أن يكون هذه المرّة لحماية عناصر مسلّحة من الإسلاميين؛ لأنّ الحراك كان سيصطدم بمعارضيه من العلمانيين وحلفائهم، وهو ما يلزم معه وجود دفاع مسلّح».

حكى إسكندر في التحقيقات مواقف كان لها تأثير على نفسيته؛ فبعد ٣٠ يونيو وبيان الجيش الذي ألقاه السياسي، تعرّض لاعتداء لفظي من المارة في الشارع لأنه كان مطلقاً لحيته، ووصل الحد إلى تهديده بالضرب، وتابع: «بعدها كشف لنا الشيخ المغربي عن خطته، وهي استهداف محطات الكهرباء لمواجهة الانقلاب العسكري، ولإفقاد الجيش قدرته عبر قطع الكهرباء، وأن الفكرة حصل عليها من مهندس كهرباء لم يكشف اسمه»^(٣٩).

عقب إعلان البغدادي الخلافة، وبيعة بيت المقدس له، والقبض على بكري هارون، ومحمد علي عفيفي، ومقتل أبو عبيدة الطوخي، أصبح التحالف بين جماعة بيت المقدس في سيناء ومجموعات المحافظات هشا للغاية، فانفصل همام محمد أحمد عطية، ليشكل جماعة «أجناد مصر»، وهشام عشاوي ليشكل «المرابطين»، وقام أشرف الغرابلي بتشكيل تنظيم الدولة في أرض الكنانة، أو في بر مصر، وهو بايع البغدادي، إلا أنه شكّل فرعاً منفصلاً عن التنظيم، أطلق على نفسه فيما بعد (ولاية سيناء).

تضمّنت اعترافات قيادات جماعة «أنصار بيت المقدس»، المقبوض عليهم، في الأوراق التي حصلنا عليها، كيف شكّلوا التنظيم، وكيف أرادوا تدمير المجرى المائي لقناة السويس، وكيف استباحوا أموال الأقباط، وأرادوا تدمير مدينة الإنتاج الإعلامي، وكيف نسّقوا عملياتهم، وكوّنوا، وشكّلوا ودعموا لوجستياً تلك العمليات الإرهابية، وكان التجنيد يتم في خيام ميدان التحرير، وكانوا يستفيدون من الخطب الحماسية التي يلقيها حازم أبو إسماعيل، وغيره من قيادات الإخوان والسلفية الجهادية، كما تمّ التجنيد عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي^(٤٠).

(١٠) التجنيد الإلكتروني؛ الطريقة والحدود:

تكفي نظرة سريعة على مواقع تجنيد المقاتلين لمعرفة مدى حرص هذه الجماعات على استغلال الإنترنت لإبراز هويتها وتوضيح أهدافها ورؤيتها، إضافة إلى تصوير أكثر معاركها إثارة، مع تخصيص جزء كبير لسرد السيرة الذاتية لأبرز قادتها، علاوة على تحديثات الأخبار المتعلقة بأنشطة المنظمة، وإعداد أناشيد الجهاد والتحرير، وبتّ البيانات والخطابات ومقاطع الفيديو والتسجيلات الصوتية.

يلاحظ تركيز التجنيد عبر الإنترنت على فئات القاصرين والمراهقين، عن طريق بثّ موادّ تسترعي انتباه هذه الفئات؛ كألعاب الفيديو، وقصص الأطفال، والأناشيد، وبموازاة ذلك، يتمّ نشر رسائل وإعلانات تحرّض على العنف وتروّج لارتكاب أعمال إرهابية، لينتهي الأمر ببعض المستهدفين إلى الدخول في اتّصال مباشر مع العناصر المتطرّفة، والانضمام إلى صفوفها.

في بيئات اجتماعية أخرى؛ تتخذ الحركات المتطرّفة من أماكن التجمع العامة، كالمدارس والجامعات والمعاهد والمساجد، منابرًا للدعاية، كذلك تستعين بوسائل مكّلة كالكتيبات والمنشورات والأشرطة والفيديوهات، وأصبحت

39- وثائق تحقيقات جماعة أنصار بيت المقدس، في نيابة أمن الدولة العليا.

40- المصدر السابق.

هذه الوسيلة، مع انتشار الإنترنت، رأس الحربة في التعبئة والتجنيد^(٤١).

وفق المركز التونسي للبحوث والدراسات؛ إن أهم العوامل التي لعبت دوراً مهماً في تجنيد عناصر جديدة في صفوف التيار الجهادي؛ إذ تحضر هذه العوامل في التأثير بالأشخاص، والتأثر بشبكات التواصل الاجتماعي، والتأثر بوسائل الإعلام التقليدية.

قالت الدراسة: "يتضح أن عامل التأثير بالأشخاص يعد العامل الأهم مقارنة ببقية عوامل التأثير؛ فأكثر من ثلث العناصر الجهادية تم استقطابهم من خلال تأثيرهم بقيادات جهادية ودعاة، فقد اهتم الجهاديون بتجنيد عناصر جديدة بواسطة أشخاص، من دعاة وأئمة مساجد وقياديين سابقين في تنظيمات إرهابية، وكثفوا من تواجدهم العلني في الشوارع منذ عام ٢٠١١؛ إذ قام الجناح الدعوي لتنظيم أنصار الشريعة بإقامة خيم دعوية وملقبات في أغلب مناطق البلاد، وأقيمت فيها خطب تحريضية، ووزعت خلالها كتب، كما لعبت المساجد التي سيطر عليها جهاديون دوراً كبيراً في التأثير والاستقطاب"^(٤٢).

يستهدف "الجهاديون" في جهادهم الإلكتروني فئة الشباب في الأعمار المبكرة، وهذا يعني أنهم يستخدمون التقنيات الحديثة في الإعلام، وأبرزها: تويتر والفيس بوك، بعد أن كانت تلك التنظيمات تعتمد على وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والأقراص المدمجة.

لا يعد العمل الإلكتروني، من خلال مواقع التواصل، هدفاً في حد ذاته؛ إنما هو وسيلة لاختيار المجندين الجدد في التنظيمات المسلحة، بعيداً عن الخطوات التقليدية القديمة التي جمعتها موسوعة القاعدة الجهادية، التي كانوا يحدّدون فيها الخطوات لاختيار الانتحاريين، وأولها: الجذب والدعوة؛ وهي مرحلة غالباً ما يقوم بها دعاة تلك الجماعات، الذين يتواجدون غالباً في بؤر التجنيد التقليدية؛ المساجد، والجمعيات الخيرية والإغاثية والثقافية الإسلامية، والجامعات، والمعاهد والمدارس الدينية، ورحلات الحج والعمرة، والمعسكرات الصيفية والكشافية، والصالات الرياضية.

لم تنتشر من قبل مواد جهادية بهذه الكثرة في الفضاء الإلكتروني؛ إذ تمتلك ٢١٠ من المجموعات الجهادية في سوريا موقعاً أو أكثر لكل منها، وتمتلك "القاعدة" الأم أكثر من مئة موقع، كما تمتلك "داعش" في فترة وجيزة أكثر من ستين موقعاً، غير المئات من الصفحات الخاصة والعامة والمدونات، وغرف التبادل المعلوماتي التي تمتلكها شخصيات جهادية مسلحة، تبث منها أخباراً مرئية ومشاهد مصورة، ومواد تدريبية^(٤٣).

يقول عبد الباري عطوان في (ما بعد بن لادن): "تمتلك المجموعات الداعشية أو التابعة لـ "القاعدة"، دوائر

41 <http://www.al-monitor.com/pulse/ar/originals/2016/11/tunisia-center-study-terrorism-distribution.html#ixzz4dObkmg8e>

42 <http://www.islammaghribi.com/%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A7%D8%AA-%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A>

43- عبد الباري عطوان، ما بعد بن لادن، القاعدة الجيل الثاني، دار الساقى، ص 321.

للترجمة بلغات متعدّدة، وعقب موت "بن لادن الإنترنت" أنور العولقي، الذي كان يصدر (inspire) باللّغة الإنجليزيّة، والمجلّة المخصّصة للنساء «الشامخة»، لم يتوقّف الجهاد الإلكترونيّ، وقبض في بريطانيا على يونس تسولي؛ الذي فتح منصات للدولة الإسلاميّة في العراق بالإنترنت، وتسلّل إلى مواقع إلكترونيّة وحولها إلى لوحات إعلانيّة للقاعدة وتنظيماتها الشريكة والحليفة، كما شنت مجموعة جهاديّة تسمّى (طارق بن زياد) هجومًا عطّلت به حواسيب شركات أمريكيّة كبيرة مثل «ديزني».

نجحت «القاعدة» ومثيلتها الجديدة «داعش»، في استغلال المنابر الإلكترونيّة، مثل: فيس بوك وتويتر، للتواصل والتبشير والتّجديد، عبر ما يسمّى «ميثولوجيا الجهاد»، وأيقونة الشهداء، ووضع متخصصو الشبكات داخل التنظيمين الكبيرين، تقنية الكلمات البديلة، والمفردات المرمّزة، وبرامج التّشفير والتّشويش على الاتّصالات والرّسائل»^(٤٤).

يقول عبد المنعم المشوح في دراسته عن القاعدة والإنترنت: «في عام ١٩٩٦؛ انطلقت أوّل رسالة بريد إلكترونيّ تحمل رسائل تنظيميّة للجماعات المتطرّفة، وكان الهدف منها؛ الإعداد والتّسيق الفكريّ- التنظيميّ لإنشاء الجبهة العالميّة الإسلاميّة للجهاد ضدّ اليهود والصّليبيين، وفي عام ١٩٩٧؛ انطلق أوّل موقع جهاديّ، وكان موقعًا لجماعة الجهاد المصريّة، أُطلق عليه (معالم الجهاد)، ومنذ عام ٢٠٠١ حتّى ٢٠٠٣؛ نقلت القاعدة تجربتها الميدانيّة (فكريّة- عسكريّة) إلى عالم الإنترنت، حتّى أنّهم نقلوا معسكرات تدريب كاملة من أرض الواقع إلى العالم الافتراضيّ، مثل معسكر البتار، وفي عام ٢٠٠٦؛ أنشؤوا منصات بلغات مختلفة ومواقع تفاعليّة، ومع نشأة شبكات التواصل الاجتماعيّ، دخلت القاعدة، ومعها خبرة طويلة متراكمة على مدى سنوات ولديها مخزون معلوماتيّ ضخم ومتنوع، مما ساعدها كثيرًا في (صناعة تيار فكريّ متطرّف) بشكل منهجيّ يتطوّر تبعًا للظروف، ويشكّل أمواجًا فكريّة متتابعة، بحيث يغطّوا مساحة أكبر، ويعوّضوا فقدانهم للبنية الفكريّة في مناطق مهمّة من العالم»^(٤٥).

بمتابعة خطط الجهاديين على شبكات التواصل سيّتح؛ أنّهم يظهرون الرومانسية رغم وحشيّتهم في أحيان كثيرة، وذلك من خلال التحاق بعض الفتيات، ومنهن القاصرات، بالقتال مع داعش، بعد أن تورّطن في علاقات حبّ على الشّبكة، البعض منهنّ ذكرن قصّة التحاقهنّ بالتّظيم، وكيف عشن قصّة حبّ رومانسيّة، ممّا استقطب أعدادًا جديدة على شبكة التواصل الاجتماعيّ.

أمّا طريقة عرض الرّهائن وذبحهم؛ فقد كانت موضع اهتمام وكالات الاستخبارات الدوليّة أكثر من الاهتمام الإعلاميّ، أبرزها: ظهور الرّهينة قبل ذبحه بأنّه مستسلم وهاديّ ورابط الجأش، وهذا ما أثار الكثير من التّساؤلات بشأن الهدوء الذي يمتّع به الضّحية قبل أن يواجه مصيره.

44- المصدر السابق، ص 322.

45- عبد المنعم المشوح، القاعدة تويترًا مرحلة جديدة، معهد العربيّة للدراسات.

<http://www.alarabiya.net/ar/2013/05/22/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9>

يختلف الخطاب الإعلامي للجهاديين عن الطريقة التقليدية للتنظيمات «الجهادية القديمة»، الذي يقوم على أساس التحرك الميداني على الأرض وعلى الشبكة العنكبوتية، أكثر من طروحاته الفكرية من قبل المشايخ التي اعتاد عليها تنظيم القاعدة، في وقت سابق.

ويتمثل البعد الإعلامي للجهاديين وفصائلهم المنتشرة على الخارطة الآن، بهدفه وأغراضه باستقطاب مقاتلين جدد، من خلال استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت، والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات.

تستخدم التنظيمات وسائل الاتصال الحديثة لإثارة زوبعة إعلامية بين الشباب والجمهور؛ إما من خلال تعليقات تويتر أو الشبكة العنقودية، أو من خلال المجالات باللغات الأجنبية المختلفة، مثل: دابق أو أنسباير^(٤٦).

سياسة الجهاديين الإعلامية- الآن- تعتمد على الدفع بمعلومات تركز على الكم والكيف، والتدقق الذي لا يهدأ لمواد الترويج يعدّ بجودة عالية، ما يعكس قوة التنظيم عسكرياً وبشرياً، والتأثير في الرأي العام أولوية عند داعش؛ إذ تحول الخسائر والهزائم إلى غنائم وانتصارات، وأدوات لحشد الدعم للتنظيم وكسب أفراد جدد ينضمون إلى صفوف المقاتلين^(٤٧).

هنا، يجب الإشارة إلى أنّ التنظيمات الجهادية تستهدف، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، إيصال رسائلها إلى ثلاث فئات:

أولها: المؤيّدون والمتعاطفون، ويكون الهدف التواصل معهم بتجنيدهم واستثمارهم، والحصول على دعمهم ومساندتهم، وثانيها: موجّه إلى الرأي العام، بغرض تأكيد قوّة نفوذها وانتشارها، وتحركها على الأرض، وثالثها: خصومها من الدول ومؤسساتها بهدف زعزعة أمنها.

يقول حسن أبو هنية: «إنّ النماذج التفسيرية لجهاديين الجيل الثالث في العالم الافتراضي الذي وفرته العولمة والثورة الاتصالية، تكشف عن تحولات عميقة في بنية القاعدة والسلفية الجهادية، على صعيد الوعي الأيديولوجي والممارسة الجهادية؛ إذ يتنامى الإحساس والشعور لدى أبناء الجيل الثالث بأنّ الأمة الإسلامية «ممتحنة» على امتداد البصر، وأنّ الوقت قد حان لوضع حدٍ لهذه الآلام المهينة، وهذا لا يتمّ إلا عبر «الشهادة والاستشهاد»، خاصّة، إذا كانت هذه الدنيا في عيون أبناء هذه الجيل «تافهة ولا تستحقّ الحياة»؛ فالعالم الافتراضي يعيد بناء الجهادي باعتباره كأنناً أخلاقياً منشغلاً بأمانة التكليف، وأنّ المقاصد والغايات تحرك الاستشهادي، والقيم والمعاني الرمزية وأسئلة النهايات تتحكّم بمصيره؛ إذ تؤسّر عوالم الاستشهادي على إعادة الاعتبار للمعنى الذي فقد بفعل

46- أحمد ناجي قمحة، اتجاه المنظومة الإعلامية.

<http://www.ahram.org.eg/NewsQ/332428.aspx>

أحمد ناجي قمحة، اتجاه المنظومة الإعلامية.

47- إستراتيجية داعش الإعلامية.

<http://www.makkahnewspaper.com/makkahNews/second-2/83122/83122.html#.VImAlCuUfUM>

العولمة، وقيام «آلهة السوق»، وافتتاح بيوت «العبادة الاستهلاكية»؛ فالعنف الجهادي بهذا المعنى؛ تمرّد على العنف الملازم للعولمة بعنف مصادّ يعمل على إعادة الاعتبار للرمزي على المادي؛ فقد أحدثت العولمة برأسماليّتها المتوحّشة حالة من الفوضى والتشتت، وهي البيئة التي تزدهر فيها القاعدة^(٤٨).

يبدو التّوظيف العاطفيّ أقوى من الحجج العقليّة، وذلك سواء في رسائل اكتساب أنصار جدد، أو تعزيز مواقف المؤيدين والأتباع، ومن الرّواية الإعلامية المجرّدة؛ نجد أنّ العمليّات الإرهابية- حتّى قبل الإنترنت وثورة الاتّصالات- عادة ما تحظى بتغطيات إعلامية مكثّفة؛ حيث تجد فيها وسائل الإعلام مادّة صحفية مثيرة، فنتناولها بشكل مركز وفق منطق الحدث الإرهابي، حدث إعلامي، ولعلّ هذا ما دعا بعض الخبراء إلى التّحذير من أنّ وسائل الإعلام قد تنحرف- تحت ضغط المنافسة - عن دورها في البناء الاجتماعي، إلى الترويج للإرهابيين الذين يستغلّون بمهارة مسألة حرص الإعلاميين على السبق الصحفي، لتمرير أيّدولوجية معيّنة، بهدف كسب تعاطف الرّأي العامّ مع قضاياهم^(٤٩).

ومع وجود الفقراء الذين أنهكهم، لفترة طويلة، الفقر المدقع، فيبحثون عن مشروع يستجيب لأمالهم ومخاوفهم، ويوفّر الأجوبة السهلة عن الأسئلة الوجودية التي كانت وراء اندلاع الحرب الأهلية، بدت داعش، على سبيل المثال، بديلاً جاذباً لهم، عوضاً عن الجماعات المسلّحة الكبيرة المتنازعة، التي لاحقت صورتها باستمرار أخبار الفساد والسّرقة والتّعديّات، لقد استثمر داعش بين السنّة الفقراء بقوة^(٥٠).

كما يشير هارون ي. زيلي إلى أنّ شبكات التّسهيل والخدمات اللوجستية الداعمة للمقاتلين المتجهين إلى سوريا، ربّما تكون قد اندمجت في الشبكات الريفية والحضرية القائمة، التي أسستها المجموعة الجهادية المحليّة "جماعة أنصار الشريعة في تونس"^(٥١).

بحسب علماء النفس؛ فإنّ الاتجاه، دائماً، ما يقع بين طرفين متقابلين؛ أحدهما موجب والآخر سالب: هما التأييد المطلق، والمعارضة المطلقة، ومن هنا؛ نجد أنّ المنبر الأبرز لعرض الفكر الذي يدعم الاتجاهات المتشدّدة وترويجه، يكون أكثر وضوحاً على شبكة الإنترنت، ويتدرّج تكوين الاتجاهات المتطرّفة ودعمها على مراحل، ويلاحظ أنّ الشّاب بعد أن يمرّ بالتّغذية الفكرية المركزة ستتغيّر اتجاهاته، مدفوعاً أو مدعواً للبحث عن المجتمع الفاضل الذي صورته له مواقع الإنترنت، من خلال نشر الصّور والأفلام والوصايا التي تروي، بأساليب مؤثّرة في

48https://www.google.com.eg/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwifo_nxvrbUAhXMCBoKHW8cDh8QFggrMAA&url=http%3A%2F%2Fwww.assakina.com%2Fcenter%2Ffiles%2F12842.html&usg=AFQjCNH6ChrgHP93HwAUQPIwImd4KVxWgQ

49- فايز الشهري - الوجه التقني للعنف "الإنترنت نموذجاً"، صحيفة الرياض، صادرة عن مؤسّسة الإمامة، عدد الاحد 19/ ديسمبر/ 2004م، العدد 13327.

50- فواز جرجس، داعش إلى أين؟.. جهاديّو ما بعد القاعدة، مركز دراسات الوحدة، ص 164.

51- هارون ي. زيلين، معهد واشنطن.

http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/foreign

الشباب الذين شاركوا في الجهاد والكرامات التي حصلت لهم، ومقارنتهم بالفاتحين العظام. ويمكن تمييز المرحلة التنفيذية (العملية) لتشكّل الاتجاهات المتطرّفة، ثم الانضمام الفعليّ إلى جماعات التطرّف والعنف على النحو الآتي⁽⁵²⁾:

أولاً: ضخّ الفكر المتطرّف من خلال النّيش في الكتب والفتاوى، وإظهار التّفسيرات الأكثر تشدّداً للنصوص، وإنزالها على وقائع العصر، ثم إصدار الأحكام، وفي هذه المرحلة يكون الشاب في مرحلة التأمل والاختيار.

ثانياً: المساعدة في الاختيار، وهي مرحلة يُستخدم فيها المؤثّرات لدفع الشّخص الحائر لتكوين موقف.

ثالثاً: التّهنة على معرفة الحقّ وتعزيز الأفكار، حينما تلوح بوادر اقتناع ببعض الأفكار.

رابعاً: الانضمام الفعليّ للتّنظيم تحت شعار الهداية والالتزام وطلب الجنّة.

أثار أحمد الدروي، الضابط المصريّ السابق الذي انضمّ إلى تنظيم "داعش"، عديداً من التّساؤلات حول كيفية اختراق هذا التّنظيم الإرهابي للمجتمع المصريّ، وتجنيد عددًا من الشباب المغيّب، من أجل ما يطلقون عليه "الخلافة الإسلاميّة"، بقيادة زعيمهم أبي بكر البغدادي، ومن بين تلك التّساؤلات التي طُرحت: كيف يُجنّد التّنظيم الشباب المصريّ؟ وكيف يحصلون على خدماتهم بتلك السّهولة؟ الإجابة ببساطة تبدأ بموقعي التواصل الاجتماعيّ؛ فيس بوك وتويتر، اللّذين من خلالهما يتمّ التواصل مع الشباب، وبالتّحديد، شباب التيار الإسلاميّ؛ نظراً إلى غيرتهم على الإسلام، ونجاح جماعاتهم من قبل في تغييب عقولهم، ممّا يجعل "التّنظيم" لا يجد صعوبة في استمرار عملية تغييب العقول من أجل ضمّ الشباب.

وفقاً لأحد المصريّين المنضمّين لـ "داعش"، ويُدعى "أبو سفيان"، وهو اسم حركيّ؛ فعقب مرحلة التّجنيد الإلكترونيّ يصبح الشاب، في البداية، مؤيداً من بلاده، فينشر أفكار التّنظيم، ويعمل على تجنيد غيره من الشباب، وبعد التأكّد من ولاء الدّاعشيّ الجديد؛ تُسنَد إليه قيادة خلية في بلاده، أو يسافر للانضمام للتّنظيم.

خامساً: الانخراط في الأدوار العمليّية، وهي الغاية الأساس من كلّ هذه الجهود:

يقول المختصّ في شؤون الجماعات الإسلاميّة صلاح الدين الجورشي: إنّ هناك ثلاثة عوامل جعلت تنظيم الدولة أكثر إغراءً في استقطاب المؤيدين له والمنخرطين في صفوفه، وقال الجورشي: إنّ العامل الأوّل؛ هو قيام تنظيم الدولة بـ "إعادة صياغة مشروع تنظيم القاعدة، عبر ربطه بهدف يعتقد أنّه قابل للتنفيذ، ويتمثّل الهدف بإقامة دولة على الأرض، ولأجل ذلك قام بتعجيل الانتقال المباشر من القيام بضربات عسكريّة متفرّقة ضدّ الخصوم، كما كانت تعمل القاعدة، إلى إنشاء دولة ينضمّ إليها كلّ الحالمين بها"، وأشار الجورشي إلى أنّ العامل الثاني الذي خدم "الدولة" وجعل منها عامل جذب؛ التطوّرات الميدانيّة التي وقعت في العراق وسوريا، وتمكّنه من السيطرة على الأرض، بالتّالي، أصبحت الأرض هي النّواة العمليّة والميدانيّة لبناء أمة جديدة"، ولفت إلى أنّ العامل الثالث "عملية الشّحن للعناصر حتى يكونوا مستعدين لمواجهة الجميع، على عكس القاعدة التي كانت ترتّب الأولويّات، وتحاول تصنيف خصومها، وتنتجّه إلى العمل ضدّهم وفق الأهميّة والترتيب"، وأشار إلى أنّ التّنظيم يملك ماكينة إعلاميّة

52- علي ليلة، تقاطعات العنف والإرهاب في زمن العولمة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط 1، 2007م، ص 20- ص 30.

تعمل بشتى الوسائل والأدوات على استقطاب أشخاص جدد قادرين على تحقيق ما يريد به بأبسط الأساليب⁽⁵³⁾.

(١١) ملامح التجنيد الجهادي:

١- التجمع العضوي:

يرى سيد قطب، مرجعية التيارات الجهادية، أنه لا بدّ، أولاً، من التجمع العضوي الحركي، ويؤكد في "معالم في الطريق"، أن "الإسلام لم يكن يملك أن يتمثل في "نظرية" مجردة، يعتنقها من يعتنقها اعتقاداً، ويزاولها عبادة، ثم يبقى معتقوها على هذا النحو أفراداً ضمن الكيان العضوي للتجمع الحركي الجاهلي، القائم فعلاً، فإن وجودهم على هذا النحو - مهما كثر عددهم - لا يمكن أن يؤدي إلى "وجود فعلي" للإسلام؛ لأن الأفراد "المسلمين نظرياً"، الداخليين في التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي، سيظلون مضطربين، حتمًا، للاستجابة إلى مطالب هذا المجتمع العضوية، وسيتحركون - طوعاً أو كرهاً، بوعي أو بغير وعي - لقضاء الحاجات الأساسية لحياة هذا المجتمع الضرورية لوجوده، وسيدافعون عن كيانه، وسيدفعون العوامل التي تهدد وجوده وكيانه؛ لأن الكائن العضوي يقوم بهذه الوظائف بكل أعضائه، سواء أرادوا أم لم يريدوا؛ أي أن الأفراد "المسلمين نظرياً" سيظلون يقومون "فعالاً" بتقوية المجتمع الجاهلي الذي يعملون "نظرياً" لإزالته.

إن هذا التشخيص دفع شكري مصطفى، فيما بعد، إلى عمل ما يسمّى "جماعة المسلمين"، التي أطلق عليها، أميناً، التكفير والهجرة، وجعل أتباعه يقومون بعمليات تجنيد واسعة لها.

طه السماوي؛ كان أتباعه يقومون، أيضاً، بالتجنيد والدعوة إلى الإيمان بنظرية الهجرة من المجتمع، أما الإخوان؛ فكانوا يعملون طوال الوقت وفق مبدأ الاستعلاء والمفاصلة، ثم نضجت فكرة الولاء والبراء للظواهرية زعيم تنظيم الجهاد.

فلاسفة الجهاديين واصلوا ما قاله قطب، ورؤوا أن الدعوة إلى الجماعة لا بدّ أن تكون سرية، كما لا بدّ من أن يشبّ في أتون المحن وأمواج البلاء، وأن يعمل الدعاة طوال الوقت في ما يسمّى الولاء والبراء.

أكمل محمد عبد السلام فرج، مؤلف "الفريضة الغائبة"، نظريات قطب، وقال: إن الجهاد أفضل من أية عبادة، والانشغال بالسياسة حرام، أما حمل السلاح؛ فهو قمة الطاعة، يقول فرج: "من يريد، حقاً، أن ينشغل بأعلى درجات الطاعة، وأن يكون في قمة العبادة، فعليه بالجهاد في سبيل الله، وذلك مع عدم إهمال بقية أركان الإسلام، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصف الجهاد بأنه: ذروة سنام الإسلام".

يتحدّث فرج عن الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، كما في هجرتي الحبشة، وابتداءً بالهجرة من مكة إلى المدينة، ويفسر ذلك بالهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان، والهجرة، من وجهة نظره، هي قتال الحكام أولاً.

53- اللبان شريف درويش، قراءة في الإستراتيجية الإعلامية والثقافية لتنظيم داعش، ص 4، دار نشر غير معروفة.

54- قطب سيد، معالم في الطريق، دار الشروق، ص 11.

تطوّرت النظريات، فخرج علينا عبد الله عزام، ليتوصّل من تجربته في أفغانستان إلى نظرية مهمة، قد تلخّص فكر "القاعدة" فيما بعد؛ بل قد تكشف سرّ التسمية نفسها، فيقول عزام: "خرجت من خلال الأحداث الضخمة التي عشتها في داخل أفغانستان، بالقواعد الآتية: القاعدة الأولى: لا يمكن لأيّة حركة إسلامية أن تقيم دولة إسلامية وحدها، والقاعدة الثانية: لا بدّ من حركة إسلامية حتى تقوم الدولة الإسلامية على يدها، لكنها لا تستطيع أن تقيم دولة الإسلام وحدها، ولا بدّ من إقامة جماعة، ولا بدّ من أن يشرّع لها حمل السلاح، وتبدأ المعركة المسلّحة حيث علينا أن نختار لها بقعة أرض مناسبة، وشعباً مناسباً إن استطعنا.

يضيف عزام: "على الحركة الإسلامية أن تختار عدوّاً مشتركاً يتفق الجميع على أنّ هذا عدوّ، يعني اليهود عدوّ مشترك، والأولى بالحركة الإسلامية أن تبدأ بالقتال ضدّ اليهود. روسيا عدوّ مشترك لا يستطيع أحد أن يسمي الذي يقاتل الروس خائناً؛ بل الوطنيّ سينظر إليك من ناحية وطنية، فيكبرك، ويجلّك، ويحترمك، ويعجب بشخصك أولاً، ثمّ يعجب بمبدئك ثانياً، والمسلم، كذلك، سيكبرك لأنك تمتشق حسامك وتشرع هامتك للنار، وتبحث عن الموت وتدافع عن الشعب؛ فالشعب سيقف معك، أعداء الإسلام سيخرسون، لا يستطيعون أن يجابهوك في هذا الميدان المشترك، والمعركة ستطول، وكلّما طالت المعركة تستفيد الحركة الإسلامية، وبعد معركة طويلة مع أعداء الله- عزّ وجلّ- ستكون النتيجة واحدة من اثنتين؛ إمّا أن ينتصر الكفار، وإمّا أن ينتصر المسلمون؛ إن انتصر المسلمون قامت الدولة الإسلامية، وإن انتصر الكفار لم تخسر الدّعوة الإسلامية.

النظرية الأخيرة كانت لسيدّ إمام الشّريف، صاحب كتاب "العمدة"، فقال: إنّ الهدف هو تكوين الشّوكة، وهذا التّكوين لن يتمّ إلاّ بتشكيل الطليعة الجهادية المقاتلة، وتربيتها على الولاء والبراء، والمفاصلة مع أعوان الحكّام والمرتدّين.

يرى الجهاديون أنّ طريق الجهاد يبدأ بتكوين جماعة من المؤمنين، وهذا لا يتأتّى إلاّ بالدّعوة للفكر، وضمّ العناصر الجديدة، وهذا ما تحدّث عنه سيّد إمام في كتابه العمدة؛ حيث قال:

الجهاد لن يتأتّى إلاّ بالإعداد الماديّ؛ وهو إعداد في المحور الأفقيّ (محور الكَمِّ)، وله شقان: شقّ شرعيّ يتعلّق بتكوين الجماعة والسياسة الشرعية المتّبعة في إدارتها وعلاقات أفرادها، وشقّ فنيّ: يتعلّق بالفنون العسكرية، وأمّا الإعداد الإيمانيّ بدعوة النّاس إلى الجهاد وتحريضهم عليه، لقد تدرّبنا وحملنا السلاح، لكنّ يدّاً وحدها لا تصفّق، وحتىّ يكمل الاستعداد لبدأ العمل؛ لا بدّ من أن نشكّل مجموعات سرّية عسكرية، ونحدّد لنا أهدافاً نعمل عليها، والأمر ليس صعباً، لكنّه خطير، ولهذا أنوّه عنه هنا، لكنني سوف أفصل فيه في الرّسالة الرابعة (الجهاد)، وهذه المجموعة تتكوّن من الفرد المسلم المجاهد، وعدد لا يتجاوز أصابع اليدين من أبناء حيّه وناديه، وهذه المجموعات لا تحتاج إلى كثير من التّدقيقات الأمنية، بسبب نشأتهم، منذ الصّغر، سوياً، ولأنّهم يعرفون عن بعضهم ما لا يعرفه الآباء، هذه المجموعة هي النّواة الأولى في برنامجنا الجهاديّ الأمميّ⁴.

55- العمدة في إعداد العدة، سيّد إمام، ص 4.

٢- الابتعاد عن الاشتباه:

كتب الجهاديون رسالة (جند الله الأتقياء الأتقياء)^{٥٦}، وكانت دستوراً في طريقة التجنيد الخفي، والابتعاد عن الاشتباه.

بدأت في الرسالة الدعوة المباشرة إلى تجنيد أشخاص يتلقون التعليمات لتنفيذ عملية بعينها، ثم تظل ساكنة في مكانها، ولا ترتبط بكيانات جهادية أخرى، ثم تسعى إلى التدريب في الصحراء، حيث لا يمكن تتبعها أو رصدها، وإذا أُلقي القبض عليها، لا يستطيع أحد منها الكشف عن أية معلومات أخرى.

تحدثت الرسالة الجهادية عن كيفية صناعة الذئب المنفرد وتجنيد، وحجم المعلومات التي يتلقاها، والدور المكلف به لتنفيذ مخطط التنظيم الجهادي، والأساليب القتالية التي يجب أن يتبعها، مثل: استخدام كاتم الصوت في السلاح، واستخدام السم، والدهس في حال القيام بالاغتيال.

تؤكد الرسالة الجهادية، في صياغتها لصناعة "الذئب المنفرد"، على التأثير على أفكار العناصر هذه، وفق أسلوب مستوحى من الفكرة الجهادية القديمة، وهي "مؤمن آل فرعون"؛ فتقوم بتنفيذ عملية واحدة وتخفي، ويكون العمل فردياً، وغالباً ما يكون فرداً واحداً يمثل الخلية، أو عدد لا يزيد عن خمسة لا يُعرفون بأسماء صحيحة، ويتعاملون بأسماء حركية، وإذا ما نفذوا عملياتهم جمدوا وسكنوا كما كانوا من قبل، وهذا مبدأ اتبعه الجهاديون في حقبة السبعينيات، وهو شبيه بالتقية لدى الشيعة، مع تعديلات تناسب الظروف الجديدة والتطورات، "بحيث يتم زرع أو تجنيد شخص داخل الأوساط الفاعلة في الدولة أو الأجهزة المستهدفة، ليمارس عملية نوعية واحدة، وأشهر تلك العمليات: مقتل السادات على يد خالد الإسلامبولي الذي يُعد أشهر من ينطبق عليه مبدأ "مؤمن آل فرعون" في التاريخ الحديث".

أفادت الرسالة أنها قائمة على فكرة الفرد الأوح الذي لا يعرف سوى نفسه، ولا يرتبط بتنظيم أو كيان، لكنه مجرد شخص يتلقى التعليمات لتنفيذ عملية بعينها، ثم يظل ساكناً في مكان لا يمكن كشفه، ولا يمكن التعرف إليه؛ لأنه لا يرتبط بكيانات جهادية أخرى تسعى إلى التدريب في الصحراء أو الوديان والجبال، ولا يمكن تتبعه أو رصده مطلقاً، وإذا أُلقي القبض عليه، فلن يستطيع الكشف عن أية معلومات أخرى، نتيجة عدم ارتباطه بأي عنصر جهادي آخر.

أشارت، كذلك، إلى أنّ "طريقة عمل الذئب: هي من أوائل مراحل العمل الجهادي التي تعمل بلا روابط تجمعها، إلا رابطة الهدف الواحد، وهي خلايا كثيرة تعمل هنا وهناك، يجمعها هدف إقامة شرع الله في الأرض، وقتال أهل الكفر والزدة، فلا رابط بينهم ولا تواصل، يعملون فرادى، وخلايا صغيرة، ويضربون بكل قوة وشراسة، يُرهبون العدو ويقلبون كافة حساباته، فلا يعلم من أين تأتيه الضربات، ولا يعلم كيف يوقفها، ولا توجد تقنية أمنية،

56- رسالة من إصدار تنظيم الدولة الإسلامية مصر، وجدت مع بعض العناصر المقبوض عليها، وتم تحريزها في محاضر التحقيق مع جماعة «بيت المقدس» بمصر، غير منشورة.

حقيقة، لإيقاف ذلك؛ لأنه يصعب تتبّعهم والوصول إليهم، وحتّى إن حدث وأسر أحدهم، فلا يصل إلى شيء إلا نفسه فقط، أو أكثر شيء خلّيته التي يعمل معها، هذا إن وصلوا إليهم، ومن خصائص الذئاب: أنّهم أفراد طبيعيون، لا علاقة لهم بجمال المجاهدين وصحرائهم وجماعاتهم وأزيائهم؛ فهم لا يُظهرون أصلاً أيّ مظهر إسلامي أو فكري يميّزهم عن الآخرين؛ بل إنّ بعضهم إن رأيتهم قد تظنّه من أهل الهوى والمعاصي؛ فالتنكر وإخفاء الهوية هو من أساس عملهم، فهو بالنهار محاسب في شركة كذا، وفي الليل ذبّاح يتربّص بكلاب الردّة والكفر، كيف تتخن الذئاب المنفردة التي يكون غالب عملها فرديّ، رجلاً شديدي البأس، لا لقوّة عضليّة أو خبرة ضخمة في العمل الجهادي، لكنّ بأسهم ينبع من إيمانهم بأنّه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، ولأنّ بأسهم ينبع من أنّهم طلقوا دنياهم طلاقاً بانئاً دون رجعة، لا يهابون إلا خالقهم، ويتربّصون بالموت ويبحثون عنه، وكثيراً ما يهرب منهم وهم يطاردونه، حتّى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، إذن، فهؤلاء الرّجال لا تردّد عندهم؛ فقد حسموا أمرهم ومضوا في طريقهم، لا يلتفتون حتّى يلقوا ربّهم وقد أعدّوا إليه بجهادهم وذبّهم عن أهل الإسلام والملة“.

تقول الرّسالة: ”سريّة الذئب هي حقيقة واحدة، لا تُعط سرك لأحد نهائياً، حتّى لو كان أخاً على المنهج، وأبدى رغبته بالعمل، ولا تطلعه على أيّ سرّ، فقط، أعطه من الخبر بقدر الحاجة، فهذا أمر محمود لا يعيبك ولا يعيب أخاك، والخاصة: عمل الذئاب المنفردة؛ هو عمل عظيم يقود إلى التمكين ونصرة أهل الإسلام“.

نقطة التجنيد في هذه الوثائق؛ هي مجرد شخص يتلقّى التّعليمات لتجنيد شخص سيقوم فيما بعد بتنفيذ عمليّة بعينها، ثمّ يظلّ ساكناً في مكانه، ولا يترتبط بكيانات جهاديّة أخرى، تسعى إلى التّدريب في الصحراء، ولا يمكن تتبّعه أو رصده، وإذا ألقى القبض عليه لا يستطيع الكشف عن أيّة معلومات أخرى.

تحدّثت الرّسالة عن كفيّة صناعة الذئب المنفرد وتجنيدّه، وحجم المعلومات التي يتلقّاها، والدور المكلف به لتنفيذ مخطط التنظيم الجهاديّ داخل المحافظات المصريّة، والأساليب القتاليّة التي يجب أن يتّبعتها، واعتمدت على التّأثير في أفكار العناصر هذه وفق أسلوب مستوحى من الفكرة الجهاديّة القديمة، وهي ”مؤمن آل فرعون“؛ فتقوم بتنفيذ عمليّة واحدة وتختفي، ويكون العمل فرديّاً، وغالباً ما يكون فرداً واحداً يمثّل الخليّة، أو عدداً لا يزيد عن خمسة، لا يُعرفون بأسماء صحيحة، ويتعاملون بأسماء حركيّة، وإذا ما نفّذوا عمليّاتهم جمداً وسكنوا كما كانوا من قبل، وهذا مبدأ اتّبعه الجهاديون في حقبة السبعينيّات، وهو شبيه بالنقيّة لدى الشيعة، مع تعديلات تناسب الظروف الجديدة والتّطورات، بحيث يتمّ زرع أو تجنيد شخص داخل الأوساط الفاعلة في الدولة، أو الأجهزة المستهدفة، ليمارس عمليّة نوعيّة واحدة.

أول شيء ذكره في تلك الرّسالة: هو فقه الموت الذي أطلقوا عليه الطريق للإثخان، وإخفاء الهوية، وهو من أساس عملهم، فالذي يقوم بعمليّات التجنيد، كما عضو التنظيم، في النهار محاسب في شركة كذا، وفي الليل ذبّاح يتربّص بكلاب الردّة والكفر، وفق قولهم.

ترى الرسالة أنّ هناك نوعين من الذين يعملون في التجنيد: رجل علنيّ ظاهر للناس، معروف بشكله ومواصفاته، وصوته وصورته، وغير ذلك، ورجل سريّ يعمل بالخفاء، الرجل السريّ له مواصفات خاصّة، وأمنه خاصّ، والرجل العلنيّ، الذي يعمل في العلن، كلّ النّاس تعرفه، له مواصفات خاصّة، وله أمنيات خاصّة.

فالفرد العلنيّ لا يكون فضوليّاً، ولا يسأل كثيراً فيما لا يعنيه، حتّى لا يفسد على إخوانه أعمالاً مقدّمين عليها؛ فالفرد الذي يعمل في العلن، والذي يعرفه النّاس وتعرفه المخابرات، وتعرفه الدّولة، ويعرفه الجميع، يجب أن لا يكون فضوليّاً، يعني يسأل كثيراً، الفضول يقضي عليه؛ لأنّه إذا كان كذلك سيكون عنده معلومات كثيرة، وهو رجل علنيّ معروف لدى المخابرات ولدى النّاس، فعند ذلك يتمّ القبض عليه، بالتّالي؛ يُقبض على كثير من النّاس الذين استطاع أن يعرف عملهم، أو يعرفهم، من خلال فضوله وكثرة سؤاله.

فالفرد الذي يعمل في العلن كالداعية، مثلاً، والخطيب، والإمام، يجب أن لا يكون فضوليّاً ويسأل كثيراً، نحن نتكلّم عن النّاس الذين يعملون في البلاد، في الدّول أو التنظيمات المعروفة، التي هي التقليديّة.

الأمر الثّاني: لا يحتفظ معه بأسماء أو عناوين أو أرقام هواتف من يعرفهم، وإن كان لا بدّ من ذلك فلا بدّ من أن تكون مؤمّنة.

الأمر الآخر: الفرد العلنيّ لا يحتفظ بأسماء وعناوين وأرقام هواتف؛ لأنّه عرضة للأسر في أيّ وقت، والقبض، والتفتيش، فيكون ضرره كبيراً بعد ذلك على الجماعة.

في ظروف التّوتر الأمنيّ وحملات الاعتقال؛ يجب أن يقلّل من التحرك، خاصّة، إلى أماكن التّوتر، إذا كانت هيئته ومظهره إسلاميّن، وأن لا يبيت في منزله في هذه الأوقات، وأن يكون له مكان آمن خاصّ بذلك.

تتطرق الرسالة إلى الاحتياطات الواجبة للفرد السريّ الذي يقوم بالتجنيد، فتشدد على مراعاة الهيئة العامّة التي لا تدلّ على الاتّجاه الإسلاميّ، وتقول: نحن نستطيع أن نقول: إنّ الشّيخ أسامة بن لادن رجل علنيّ، والشّيخ أيمن الظواهري أيضاً، فهم أناس علنيّين مع أنّهم يعملون في الخفاء، ويعيشون في الخفاء إلاّ أنّهم رجال علنيّون، بسبب أنّهم رجال أمة، يخاطبون النّاس، والذي يخاطب الناس لا بدّ من أن يكون علنيّاً، على الأقلّ بصورته وصوته، عندما نتكلّم عن رجل سريّ: مثل أبو زبيدة، خالد الشّيخ محمد، وغيرهم من القادة الكبار الذين يعملون في الخفاء، كانوا أناساً سريّين يعملون في الخفاء دون أن تكون لهم صور حتّى العدو لا يتعرف عليهم، فالفرد السريّ له مواصفات:

أولاً: يجب أن لا تكون هيئته إسلاميّة، وأن لا تدلّ على أنّه رجل ملتزم؛ ليس عنده لحية، لا يلبس جلباب، ليس عنده مسواك، ولا مصحف، ولا كتاب أذكار صغير، هذه الكتب التي دائماً تكون عنواناً للأخ الملتزم المجاهد، المسواك، اللحية، كتاب الأذكار، الهيئة، الزّي الذي يلبسه يجب أن يكون دائماً بعيداً عن الهيئة الإسلاميّة، هذا الأخ الذي يعمل بالسّر.

وتلفت إلى أمر آخر هو «مراعاة عدم صدور الألفاظ أو التصرفات المشهورة عن الجهاديّن، وتقول:

«مثلاً؛ تعرفون أنّ الإخوة المجاهدين دائماً عندهم ألفاظ معيّنة يستخدمونها بينهم، مثلاً؛ (جزاك الله خيراً)، (بارك الله فيك)، (السلام عليكم)، وهذه الألفاظ التي يستخدمها عادة الملتزمين، أخ مثلاً؛ حليق اللحية، حليق الشارب، يلبس على النمط الغربي، قصة الشعر مختلفة، وهو يتكلم بهذه الألفاظ، (جزاك الله خيراً)، (بارك الله فيك)، طبعاً هذا الأمر يثير الشك.

كما يلفت كاتب الرسالة إلى أنّ العنصر السريّ «لا بدّ من وجود غطاء مسبق لوجوده في أيّ مكان أثناء تحركه»؛ فقبل أن يتحرك الرجل السريّ لا بدّ من أن يكون له غطاء- إن شاء الله في الدروس اللاحقة سنتكلم عن الغطاء- يعني؛ لا يتحرك الرجل إلا بغطاء، ليس هناك رجل أمن واستخبارات في العالم يتحرك إلا بغطاء أمميّ «ساتر» يتحرك من خلاله، مثلاً؛ لو ذهب إلى المسجد يعرف لماذا هو ذاهب إلى المسجد، عنده غطاء، لو سألت أنت هناك: ماذا تفعل؟ تجد عنده الجواب حاضرًا، لو ذهب إلى مركز ثقافيّ، إلى أيّ مكان يذهب إليه يجب أن يكون عنده غطاء، قصة، لماذا هو متواجد في هذا المكان؟ حتى لا يعرض حاله للأسر^(٥٧).

٣- استثمار السيولة:

استثمار السيولة: هو الاستفادة من أيّ مجال يتيح اختراق المجتمعات؛ سواء قوانين، أو حالة سياسية معيّنة، من خلال أشكال من التعاون الإنسانيّ، والصداقة، والعشائرية، والقرابة، وهذا ظهر بوضوح في منقذي حادث باريس، ومنهم إسماعيل عمر مصطفى، فقد اتضح أنّهما من الجيل الثّاني والثالث من المهاجرين الذين عاشوا في فرنسا، فكانت المجتمعات الأكثر رحابة وحرية وديمقراطية، أكثر عرضة للانضمام لتنظيم الدولة.

المقصود بالسيولة هنا؛ انهيار أنظمة سياسية، واشتعال طائفيّ، وفتح الحدود، وضعف الأجهزة الأمنية، وقد تحدّث عن الاستفادة من السيولة في التجنيد والانتشار، المنظر الجهاديّ عبد الله محمد، وقال: ببساطة استفادت السلفية الجهادية والقاعدة، من الواقع عقب ثورات الربيع العربيّ، واستثمرت بعض العوامل في كيفية اختراق المجتمعات الشبابية، على مختلف شرائحها وطبقاتها^(٥٨).

وصول الإخوان للحكم في مصر، على سبيل المثال، خلق حالة من السيولة استفادت منها كلّ التنظيمات الموجودة، حينما قامت الجماعة بعمل اصطفاة أمام من أطلقت عليهم العلمانيين، وهذا ما أوجد (حازمون) وتنظيمات أخرى مشابهة، مثل: أنصار الشريعة، أو طلاب الشريعة، وهي التنظيمات التي استطاعت، فيما بعد، التغلغل داخل المجتمعات الشبابية، واستثمرت حماسهم، إلى حمل السلاح، وفي هذه المرحلة ظهر هذا التطور المنهجيّ الذي لم يمنع الاندماج بين كلّ الكيانات، وتبادل الأدوار.

عقب سقوط حكم الجماعة في مصر، أمن قطاع كبير من شباب التنظيم بما يسمّى «التأسيس الرابع للجماعة»، وفق ما كتبه الشاب الإخواني محمد عباس من إسطنبول، وهو الذي يعني إبعاد القيادات عن إدارة الجماعة، وعدم الارتباط بشخص المرشد، وعدم الإيمان بما يسمّونه، وفق أدبياتهم، «الخديعات الثلاث»، وهي: الديمقراطية،

57- المصدر السابق.

58- محمد عبد الله، نظرية الذراعين، دراسة لمنظر القاعدة، غير منشورة.

والتوافق، وخدمة الشعب، والإيمان بالجهاد، والصراع على التحكم وليس الحكم، وأن السياسة لتحكيم شرع الله وليست لخدمة الناس، ومن هذا التفكير انضمت عناصر إخوانية إلى الحركات المسلحة خارجياً وداخلياً. حاول تنظيم الدولة، في المقابل، الاستفادة من تلك الحالة أيضاً، ونجح، إلى حد ما، في ضم كل من يريد حمل السلاح، واجتذب شباب الجماعات المنهارة، وأبناء العناصر المقبوض عليها، الذين ارتبطوا أيديولوجياً ونفسياً بالانتقام، أو من القطاعات الشبابية المختلفة.

زيادة على الانتقام والثأر؛ هناك العوامل الأخرى، مثل: الإحباط، أو انعدام الأمل في المستقبل، أو التحرك الجماعي في قطيع الجماعات، أو التنظيمات الشبابية، مثل: (الأولتراس) الذي احتوى الآلاف من الشباب الذين يشعرون بالإحباط، ويفقدون الثقة في الكبار⁽⁵⁹⁾.

كتب القيادي السلفي، عبد المنعم الشحات، مقالاً على الموقع الرسمي للدعوة السلفية (أنا السلفي) عن ثقافة المرحلة، تساءل فيه عن الدعوة السلفية، وكيف تستفيد من هذا الواقع، وقال: كيف نستثمر العوامل الإيجابية التي ظهرت في مجتمع عانى من ويلات الكبت والقهر لعقود من الزمن؟ وما هي مخلفات المرحلة التي أطلت برأسها علينا؟ نحتاج إلى عقد ورشات عمل وصالونات ثقافية حول الوسائل التي نستطيع أن تحتوي بها الظاهرة الثورية، وكيفية اختراق المجتمعات الشبابية، على مختلف شرائحها وطبقاتها.

إن استغراق الجماعات الدعوية في السياسة، وتقصيرها في ملف الدعوة والتربية، أحدث شرخاً كبيراً في المجتمع، تلمسنا جميعاً آثاره ونتائجه، فلا بد من أن نعود مرة أخرى، وبأقصى سرعة، إلى الاهتمام بهذه المحاور التي لن يهتم بها غيرنا، ولا بد من أن يعود إلينا اللسان الدعوي وطريقة الحوار التربوية؛ لأن لغة السياسة أفقدتنا، ولا شك، مساحة من القبول المبدئي في أوساط الشباب، وأصبح بعضهم ينظر إلينا بعين الخصم السياسي، أو المنافس الحزبي، بعد أن كان ينظر إلينا بعين التوقير⁽⁶⁰⁾.

ما سبق يعني أن الدعوة السلفية؛ كتنظيم مماثل للإخوان، أو التنظيمات المسلحة، أدركت أن السيولة والحماسة الشبابية، يمكن أن يخترقونها مثل باقي التيارات، وأنه يمكن احتواء هذه الظاهرة الثورية الشبابية، من أجل التمدد على حساب التنظيمات الأخرى، التي نجحت في ذلك عن طريق السيولة، كما عن طريق ترميم الهياكل التنظيمية من الداخل.

الإرهابي السائل: هو الذي تم تجنيده في تلك المرحلة، وهو يختلف ضمناً عن الإرهابي المتجول؛ الذي يحمل معتقداته وأفكاره لأي مكان في العالم، وهو الهدف الذي يسعى معظم الجهاديين حول العالم إلى تحقيقه.

البعد الطائفي للصراعات الراهنة، كان من خلال تركيز التنظيمات الجهادية على تعبئة الحالة الطائفية وشحنها، وتصوير العمليات القتالية على أنها موجّهة لنصرة أهل السنة، إلى تجنيد عدد غير قليل، وساعد النظام العالمي المهترئ والغير متماسك، والحرب السورية، والفوضى العراقية، والأزمة الليبية، على صناعة فراغات إستراتيجية

59- فرغلي ماهر، داعش واستخدام السيولة.

www.eda2a.com/articles.php?article_id=3892

60- الشحات عبد المنعم، قافة المرحلة، موقع أنا السلفي.

www.anasalafy.com/play.php?catsmktba=61719

تمدد خلالها الجهاديون.

٤- استهداف الطلاب:

الطلاب، بالطبع: هم أول المستهدفين من عمليات التجنيد الجهادي، وفي ورقة خرجت من المجلس الثقافي البريطاني، ونشرتها الجارديان: إن ٤٤٪ من الجهاديين الأجانب حاصلين على درجات في الهندسة، وقد ارتفع هذا الرقم في عام ٢٠١٦ إلى ٥٩٪.

خلصت مارتن روز، مستشار المجلس الثقافي البريطاني المتخصص في شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلى أن ما يقرب من نصف (٤٨,٥٪) من الجهاديين تم تجنيدهم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، من خريجي التعليم العالي^(٦١).

كما خلصت إلى أنه في يونيو وجدت دراسة أن ١٨ مسلماً بريطانياً متورطين في الهجمات الإرهابية، وثمانية منهم كانوا قد درسوا الهندسة أو تكنولوجيا المعلومات، وأربعة درسوا العلوم والصيدلة والرياضيات، وواحد فقط كان قد درس العلوم الإنسانية.

الغالبية العظمى من خريجي تجنيدهم في الإرهاب الإسلامي درس الهندسة والعلوم والطب، ولا يوجد أحد، تقريباً، من خريجي العلوم أو الفنون الاجتماعية، وفقاً للبحث.

ضربت مارتن روز مثلاً بسيف الدين رزقي؛ الإرهابي المسؤول عن مذبحه السياح على الشاطئ التونسي، وكان حاصلاً على درجة الماجستير في الهندسة الكهربائية.

قالت روز في دراستها: إن الدراسة في مثل كلية الهندسة لا تستطيع تحصين العقل، وغرس التفكير النقدي بالمناقشات داخل قاعات التدريس؛ لذا فإن "عقلية الهندسة"، تجعل الطلبة أسهل فريسة لتجنيد إرهابيين^(٦٢).

اعتمدت روز في تقريرها على مجموعة من الدراسات الأكاديمية وملف الاستخبارات البريطانية، التي تصف الشخص الذي يقوم بعملية التجنيد؛ مثالي وذكي وفضولي.

أكدت أن ثقافة تدريس العلوم، عبارة عن ثنائيات ومعادلات الحق والخطأ، الصحيح وغير الصحيح، وهذا يضرّ بقدرة طلاب العلوم والهندسة لتطوير مهارات الفحص النقدي، وهي ليست ظاهرة تقتصر على الجامعات الأجنبية، لافتاً إلى تقارير عن تزايد جاذبية التجنيد لبعض طلاب الطب البريطانيين المسلمين.

ربما كان مجرد انعكاس لحقيقة أن في جميع أنحاء العالم العربي تكون كليات الطب والهندسة والعلوم الطبيعية- في هذا النظام- كليات جامعة النخبة التي تجذب الطلاب المتفوقين، لأنها تؤدي إلى الوظائف المرموقة تقليدياً.

وفق لروز: ما يقرب من ٧٠٪ من الطلاب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، اعتمدوا على دراسة العلوم الاجتماعية، على الرغم من حقيقة أن التعليم في هذه الدول هو، في كثير من الأحيان، الأكثر فقرًا في تلك الإدارات الجامعية، والنهج التربوي يعمل بمبدأ الأبيض والأسود، من وجهة نظر الجهادية العالمية، وفي معنى

61 تقدم برنامج من المجلس الثقافي البريطاني في 7 دول
aawsat.com/home/article/932066/

62المصدر السابق

واحد: لا يوجد شيء جديد في هذا؛ ففي عام ٢٠٠٣ أشار تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة إلى أنّ مناهج التعليم العربية تشجّع تقديم الطاعة والتبعية والامتثال، بدلاً من التفكير النقدي الحر^(٦٣).

ما قامت به روز؛ هو لتسليط الضوء على سمات محددة تتميز بها "عقلية الهندسة"، ومنها أنّ الدراسة لا تسمح له بالتفكير، وهي عبارة عن معادلات جامدة، ما يجعل التنظيمات تخاطبهم بأفكار من قلب كل من السلفية والفكر الجهادي.

ربّما كان الخلل ببساطة نتيجة نداء في سبتمبر ٢٠١٤ تمّ توجيهه من قبل زعيم الدولة الإسلامية، أبو بكر البغدادي، إلى "القضاة والأطباء والمهندسين وذوي الخبرة العسكرية والإدارية" للانضمام إلى ما يسمّى دولة الخلافة، لكن، وفق الدراسة؛ فإنّ المهندسين والأطباء أعطوا هناك أدواراً غير فنيّة، وقريبة من تخصصاتهم. دعت روز إلى "أسنة" تدريس المواد العلمية والتقنية، وإعطاء الطلاب الضعفاء الأدوات الفكرية؛ سواء علمية أو سياسية أو دينية أو علمية، وتقديم مدخلات لهم لفتح التفكير في الثقافة الإسلامية بشكل وسطي. أشارت، في ختام بحثها، إلى أنّ انتماء الغالبية العظمى من المنتمين إلى الإرهابيين، يعيقهم التنظيم بشكل أضخم عن التفكير بصورة مثلى.

٥- خلق الوعاء:

تبحث الجماعات الجهادية، والحيل الجديد من الجهاديين، عن مخزن فكري أو تربوي جامع لكل الأفراد المؤمنين بنفس النمط الأيديولوجي.

على سبيل المثال؛ سنجد في مصر مجموعة (حازمون): التي ظهرت بسبب النتيجة الطبيعية لتلك الميزات والإستراتيجيات التي ظهرت عقب ثورات الربيع العربي؛ لأنّها تميّزت بميزة لا توجد في أيّة جماعة من الجماعات، وهي: أنّ بها حالة سيولة كبيرة، فقد ضمّت داخلها تلك الأفكار المتنوعة والمتعددة، ولم تميّز بين أعضائها، طالما أنّهم يؤمنون بالفكرة الجهادية، فضلاً عن أنّها لم تعمل بشكل تنظيمي هرمي أو عنقودي.

في حادث الهجوم على فندق الغردقة: قُتل أبو مصعب، محمد حسن محمد محفوظ، مواليد ١٩٩٤، طالب، ومقيم بالجيزة، وأصيب رمضان عبد الحميد، من منطقة حلوان بالقاهرة، وكلاهما جندتهما حركة "حازمون"، واستقطبتهما بحجّة السفر إلى سوريا للشهادة في سبيل الله، ثمّ والت خطواتها التأهيلية لهما، حتّى شكّلا مع آخرين خلية مسلحة للهجوم على السائحين الأجانب^(٦٤).

لم تنته حركة "حازمون" حتّى اللحظة، رغم سجن والدها الرّوحي أبو إسماعيل، وتقوم باستقطاب الشباب الذي تتوسّم فيه القدرة على القتال والرّغبة في الشهادة، لتقوم بعملية تدريب فكري له، ثمّ تتوالى باقي الخطوات التأهيلية التي تصل، في النهاية، إلى انضمام العضو إلى أيّ تنظيم مسلّح، خارجي أو داخلي، بغضّ النظر عن اسمه. من مميّزات هذه الحركة: أنّها تحوي بداخلها مجموعة من الحركات الأخرى، وتستوعبهم في دائرة واحدة؛ حيث انضمت إليها حركة "طلاب الشريعة"؛ وهي مجموعة من تلاميذ السلفية الجهادية المتحمسين للفكرة الجهادية.

63- المصدر السابق.

64- مسلحون يفتحون النار على مدخل فندق في الغردقة بمصر
www.alarabiya.net/ar/and-world/egypt/2016/01/08/

لما اختفت تلك الحركة استطاعت "حازمون" توليد مجموعات أخرى، مثل: "أحرار حازمون"، الذين أنشؤوا فيما بعد على مواقع التواصل الاجتماعي "حازمون ضد الانقلاب"، و"حازمون ولن نقهر بإذن الله"، و"حازمون حتى نهاية المطاف".

الأخطر في حركة "حازمون"؛ أنها تغلغت بين مجموعات تشجيع الأندية الرياضية، ونجحت في توجيه شبابها، وتجنيد عناصر كثيرين منها، وهذا ما ورد في اعترافات أغلب أعضائها المقبوض عليهم، في عمليات عنف مسلح بعد ٣٠ يونيو.

عقب عملية برج "نايل سات" بالقرب من مدينة الإنتاج الإعلامي؛ اعترف عدد من المقبوض عليهم من حازمون، أنهم أسسوا لمرحلة جديدة للعمليات المسلحة، عقب مقتل مؤسس جماعة "أجناد مصر" همام محمد عطية "مجد الدين المصري"، تم التركيز فيها على العمليات النوعية داخل المحافظات، وتحديداً القاهرة والشرقية؛ حيث إن الأولى يتواجد فيها عدد كبير من الدائرة التي تضم جماعة حازمون، والجبهة السلفية، وتلاميذ محمد عبد المقصود، وأتباع رفاعي سرور، والسلفية الجهادية، والأخيرة، يتواجد فيها العائدون من سوريا، وبقايا جماعة الجهاد القديمة^(٦٥).

أثبتت اعترافات المقبوض عليهم في أحداث الاتحادية، عبر وثائق التحقيقات، أن أغلب العناصر تخرّجت على يد حازم أبو إسماعيل؛ الذي كان خطابه الثوري الإسلامي يعجب الكثيرين منهم، وأنهم في ميدان التحرير بايعوا التنظيمات المسلحة، وأكدوا على مواصلة العمل لإخراج أتباعهم من السجن، وأنهم سيشنون أكبر قدر من العمليات الإرهابية ضد الأجهزة الأمنية^(٦٦).

تشكّلت، أيضاً، جماعة "أجناد مصر" من مجموعة من طلاب كلية الهندسة جامعة القاهرة، والذين كان أغلبهم من أتباع حازم صلاح أبو إسماعيل.

عبر عن تلك العلاقة أحمد عرفة المتهم بانتمائه لحازم أبو إسماعيل، وعضو تنظيم (أحرار)، وعضو بمكتبها السياسي؛ حيث اعترف في التحقيقات بأنهم استهدفوا الشباب الصغار، ونجحوا بالفعل في إرسال عدد منهم إلى سوريا للقتال مع جماعة أحرار الشام هناك، التي انضم إليها أحمد مبروك سلامة، أحد مؤسسي تنظيم الجهاد بمصر، والمسؤول عن استقبال المصريين في سوريا^(٦٧).

أكد عرفة على أنّ أول ظهور لحركة "أحرار" المنبثقة عن أتباع حازم أبو إسماعيل، في ٢٤ نوفمبر ٢٠١٢ أمام دار القضاء؛ حيث كان يعقد المستشار أحمد الزند، رئيس نادي القضاة، جمعية عمومية طارئة للقضاة، للاحتجاج على الإعلان الدستوري الذي أصدره الدكتور محمد مرسي حينها.

حازمون بدأت من أفكار حازم أبو إسماعيل، كرمز يلتفت حوله الخارجون على الأنظمة، وعضويتها لم تكن

65- أوراق التحقيقات بحوزة الباحثين، لقضايا بيت المقدس والاتحادية وأجناد مصر.

66- المصدر السابق.

67 <https://alwafd.org/%D8%A7%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1-%D8%B9%D8%A7%D8%AC%D9%84%D8%A9/592334-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AC%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%A8%D8%AF-%D9%84%D9%80-%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9-%D8%B9%D8%B6%D9%88-%D8%AD%D8%A7%D8%B2%D9%85%D9%88%D9%86>

قاصرة على السلفيين فقط؛ بل ضمت كثيرًا من غير المتدينين، كما انضم إليها قطاع كبير من شباب الإخوان الذين آمنوا بما يسمى "التأسيس الرابع للجماعة".

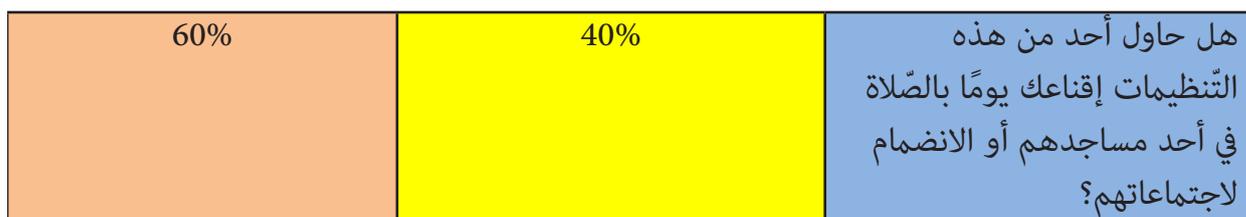
من هذا التفكير؛ انضمت عناصر إخوانية إلى حازمون وغيرها، ودخلوا في أتون هذا المخزن، ليتوزعوا بعدها على عدد من الجماعات المسلحة، وحدث الخلط التام بين الجماعات المسلحة والإخوان.

٦- إلغاء القسطة:

بقيامنا باستقصاء عن التجنيد الجهادي، لمجموعة من الشباب من جامعة الأزهر، وجامعة القاهرة، طرحنا فيه هذه الأسئلة: هل سمعت يومًا عن التنظيمات الجهادية؟ ما هو البيان الذي تأثرت به؟ ما هي الأسباب التي جعلتك تفكر يومًا في الانضمام للتيارات الدينية؟ هل حاول أحد من هذه التنظيمات إقناعك يومًا بالصلاة في أحد مساجدهم أو الانضمام لاجتماعاتهم؟ هل تصفحت أحد الكتب الجهادية عن طريق الصدفة؟ هل تصفحت يومًا صفحة للجهاديين؟ ما أهم شيء لفت انتباهك في صفحات الجهاديين؟ هل يوجد في عائلتك شخص ينتمي إلى التيارات الدينية؟ هل حاول هذا الشخص دعوتك إلى التنظيم؟ ما هي الطريقة التي دعاك بها؟ هل توجد زاوية بجوار بيتك؟ هل تأثرت بالخطب والدروس التي تسمعها بها؟ هل صليت يومًا خلف إمام ينتمي إلى التيارات الدينية؟ ما هي الأشياء التي جذبتك إلى خطبه ودروسه؟ هل تعاطفك مع هذه التيارات بسبب نعمتك على النظام السياسي القائم، أم بفعل قناعات فكرية؟ تبيّن الآتي:

إن أكثر من ٦٠٪ من تلك العناصر لديها نقمة على الأنظمة السياسية القائمة، ويشتكي الباقون من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وهذا أثر بالفعل في استماعهم لرسائل الجماعات الجهادية الإعلامية.

السؤال	موافقون	رافضون
هل تأثرت بالخطب والدروس التي تسمعها من السلفيين؟	40%	60%
هل يوجد في عائلتك شخص ينتمي إلى التيارات الدينية؟	20%	80%
هل صليت يومًا خلف إمام ينتمي إلى التيارات الدينية؟	90%	10%



كما تبين أنّ حوالي ٣٠٪ لم يفكروا في الانضمام إلى هذه التّنظيمات، ولا يعرفونها بالفعل، ويسمع الباقون عنها، وحوالي ٢٠٪ منهم بحث عن معلومات عن هذه الجماعات، وقد أثر وجود قرابة وعلاقات صداقة ومعرفة بأنّمة مقرّبون من هذه الجماعات، بلا شكّ، في تعاطيهم مع ما يُنقل عن هذه الجماعات، كما أنّ التيارات الأخرى، مثل السلفيين التقليديين والحركيين، كانوا هم السبب، فعلاً، في معرفتهم بهذه التّنظيمات.

(١٢) الخلاصة والنتائج:

ثبت أنّ النماذج الجديدة من أعضاء الأجنحة العسكرية لجماعات الجهاديين، تُجند بعيداً عن فكرة (الفسططة)؛ أي فسطاط الإيمان، وفسطاط الكفر، وبعيداً عن فكرة الفقر والاقتصاد والظروف الاجتماعية؛ فهي نماذج مختلفة تماماً في تصوّراتها ودوافعها.

أولاً: إنّ الجهاديين استفادوا من طريقة الإخوان الجهادية وبرامجهم، إلّا أنّهم كانوا أذكى وأفضل تنظيراً من جماعة الإخوان، ووضعوا دراسات ورسائل متنوّعة لطريقة العمل التّجديدي والاستقطاب، تفوّقوا بها على الجماعة الأمّ. ثانياً: إنّ أساليب التّجديد الجهادي لا تختلف كثيراً عن الطريقة الإخوانية، مثل: الدّعوة الفردية وغيرها، إلّا أنّها أمّعت أكثر في السرية والاحتياط.

ثالثاً: كي نفهم طبيعة الجهاديين وطريقتهم في التّجديد، علينا أن نفهم ما جرى من تحولات، عند قطاع كبير من الشباب، وحجم متطلباتهم، وحجم الصّورة التي تصلهم عن علاقة الأنظمة السياسية بالشعوب، وشكل المواجهات التي تحدث مع تيارات الإسلام السياسي على العموم، وهذا خلق دوافع عند كثير من الشباب، جعلته يكفر بالحلّ السلمي، وجعلت شباباً يقتنعون على الفور بأنّ التّغيير لن يكون إلّا بالسّلاح والقوّة.

على سبيل المثال، عبد الرحمن الغرابلي، ٢١ سنة، من محافظة بورسعيد، طالب في السنة الأخيرة في كلية الإعلام، قُتل في سيناء بمصر، واكتشف أصحابه وزملاؤه في الجامعة أنّه التحق بتنظيم (داعش) الذي أطلق على نفسه (ولاية سيناء)^(٦٨).

نعى الغرابلي زملاؤه وأصدقائه، وحكوا عنه أشياء كثيرة، نقلوها في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، عن أنّه محبوب للغاية، وهادئ الطّباع، ومرح الوجه، وطيب القلب.

بالمعنى الأدق: الغرابلي طالب مجتهد، سلوكه ليس عنيفاً، ولا انطوائياً، وظروف أسرته المادية مستقرّة تماماً، وميسورة الحال، وهذا معناه أنه غير محتاج إلى الأموال، ولم يتسبّب الفقر في تحولاته الفكرية.

شارك عبد الرحمن في ثورة يناير المصرية، ولم ينتخب مرسي في الجولة الأولى، ووفق أصحابه: إنه قاطع جولة الإعادة! وكان شاعراً وأديباً، وكان يستعد لأن يكون صحفياً مميّزاً.

الشاب الذي نفذ تفجير فندق "سويس إن"، وقتل قضاة العريش في نوفمبر ٢٠١٥، وكان أيضاً: طالباً جامعياً من القاهرة، وكان والده ضابط جيش سابق، ستشعر كيف هما شيء واحد، وكيف كان حجم ونوع التحول الذي حصل لهما، وحصل في تفكير قطاع كبير من شباب جامعي عادي جداً يعيش بيننا^(٦٩).

مالك الأمير عطا وهمام عطية: كانا من مؤسسي جماعة أجناد مصر، كان انضمامهم إلى الجماعة في ظروف سياسية بحثة، لا علاقة لها بالاقتصاد أو التنمية؛ بل لها علاقة بأحداث الانتفاضات والثورات التي مرّت بالعالم العربي^(٧٠).

رابعاً: إنّ الجهاديين يعتمدون على ما يسمّى التدرّج الفكري والانتقائية ببرنامج عملي متسلسل لتجنيد الأشخاص، مستخدمين في ذلك أسلوب الدعوة الفردية، بما له من مميزات؛ فلا يخطون من مرحلة إلى أخرى إلا وقد تحققت أهداف المرحلة السابقة.

خامساً: إنّ التربية الإسلامية الجهادية الشاملة لا تنتهي مع اقتناع المدعو بالفكر، ولا ببدا العمل؛ بل هي ملازمة للمجنّد طوال وجوده مع التنظيم.

سادساً: إنّ عمليات التجنيد الجهادية تطوّرت في السنوات الخمس الأخيرة؛ حيث اعتمدت على تشكيل عوالم في العالم الافتراضي بالإنترنت، واستخدمت وسائل التواصل الاجتماعي والشبكات الاجتماعية؛ حيث تليها المرحلة الأخرى وهي الدعوة الفردية، وهي اتصال الداعية بالمدعو اتصالاً شخصياً مباشراً، بهدف نقله ليكون على الاستعداد للانضمام إلى التنظيم، وتحدث في هذه العملية الصلة بين المدعو والداعية، ممّا يهيئ المدعو للاستجابة، ولا شك في أنها أفضل من الدعوة الجماعية للتنظيمات العلنية الأخرى؛ إذ يمكن بها غرس المبادئ الجهادية التي قد يخشى التحدّث فيها علانية، ويمكن التحدّث عنها بكلّ جدية ووضوح، إذا جاء الوقت المناسب لكلّ مبدأ، ويمكن للداعية أن يتدرّج في توجيه المدعو، فيعطيه في كلّ وقت ما يناسبه، وهذا النوع من أنواع الدعوة طريقة آمنة نوعاً ما لكسب الأفراد لتكوين الخلايا؛ فمن المعلوم أنّ أعمدة أيّ عمل جهادي، هي: المال والرجال والسلاح، وهذه المشكلة تكون قد حلّت، وهذا النوع من الدعوة يستطيع أن يقوم به أيّ أحد في أيّ وقت، فهو يتوقّف على الداعي؛ بمن يبدأ؟ ومتى يبدأ؟

69- المصدر السابق.

70- فرغلي ماهر، أمراء الدم، دلنا للنشر والتوزيع، ص 88.

hafryatnews



hafryat news



hafryatnews



صحيفة حفريات تصدر عن مركز دال
للأبحاث والإنتاج الإعلامي
35 شارع إسراء المهندسين - ميدان لبنان
الجيزة - جمهورية مصر العربية
www.hafryat.com